مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة Journal of the University of Babylon for Humanities
2022 /5 المجلد 30/ العدد 5/ 2022 Vol. 30/ No. 5

استدلالات وعد بلفور وأبعاده الفكرية والثقافية في سياق الشعر الفلسطيني

حسين عمر دراوشة
باحث في معارف اللغة العربية وعلومها/فلسطين
hussienomer328@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 19/ 1 /2022 **تاريخ قبول النشر: 28 /3/ 2022** **تاريخ نشر البحث: 15/5/ 2022**

المستخلص:

يعبر المنتج الشعري عن استدلالات لها عمقها الفكري والثقافي في مضامين الجنس الشعري ومعماراته الفنية ومشكّلاته النصيّة؛ لذا يهدف البحث إلى بيان استدلالات وعد بلفور وأبعاده الفكرية والثقافية في سياق الشعر الفلسطيني، والحديث عن المرجعيات النصيّة لوعد بلفور في سياق الشعر الفلسطيني وانعكاساتها الفكرية والثقافية، وتوضيح ما سبق بالمنهج الوصفي من خلال استحضار نماذج من الشعر الفلسطيني وتحليلها واستنطاقها، ومن ثم خاتمة البحث وفيها النتائج والتوصيات وفهرس المصادر والمراجع، ومن أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات ارتباط الاستدلالات الموضوعية ومحاورها في وعد بلفور بالاستنهاض التثويري والتنوير الفكري والثقافي ضمن سياقات ومقامات الشعر الفلسطيني التي لها إفرازاتها على مستوى البنية والدلالة، وبيّنتْ استدلالات وعد بلفور معالم الصراع الحقيقية وكشفتْ مقومات المواجهة التي يمتلكها أبناء الشعب الفلسطيني أمام وعد بلفور وآثاره على القضية المركزية للأمة ضمن سياق نصّي تفاعلي له رسائله ومقاصده الفكرية والثقافية، ضرورة استجلاء معالم المنحى الفكري والثقافي لطبيعة الأحداث التاريخية وتكويناتها في الأجناس الأدبية عند مبدعي فلسطين.

الكلمات الدالة: استدلالات، السياق الأدبي، البعد الفكري والثقافي.

Connotations of Balfour Declaration and Its Intellectual and Cultural Dimensions in the Palestinian Poetry Context

Hussien O.H. Drawchah
Researcher in the Knowledge of the Arabic Language and its Sciences / Palestine

Abstract:

The poetic product expresses inferences that have an intellectual and cultural depth in the contents of poetic sex, its artistic architectures and its textual problems; Therefore, the research aims to clarify the inferences of the Balfour Declaration and its intellectual and cultural dimensions in the context of Palestinian poetry, talk about the textual references to the Balfour Declaration in the context of Palestinian poetry and its intellectual and cultural implications, and clarify the foregoing with the descriptive approach by invoking models of Palestinian poetry, analyzing and investigating them, and then the conclusion of the research and in it The results, recommendations, and index of sources and references. Among the most prominent findings of the research are the results of the linking of objective inferences and axes in the Balfour Declaration to the revolutionary revitalization and intellectual and cultural enlightenment within the contexts and shrines of Palestinian poetry that have their implications at the level of structure and significance, and the inferences of the Balfour Declaration revealed the real features of the

conflict and revealed the elements of the confrontation that It belongs to the Palestinian people in front of the Balfour Declaration and its effects on the central issue of the nation within an interactive textual context with its messages and intellectual and cultural intentions, the necessity of clarifying the features of the intellectual and cultural approach to the nature of historical events and their composition in the literary races of the creators of Palestine.

Key words: inferences, literary context, intellectual and cultural dimension.

المقدمة:

أنتج شعراء فلسطين إنتاجاتٍ أدبيةً تعبر عن جوهر القضية وطبيعة الصراع القائم وما يتّخذه من أوجه متعددة وممارسات غير تقليدية، تبيّن قيمة التصور الفكري والثقافي حول طبيعة الصراع بين الحق والباطل، ويكتنز الأدب الفلسطيني أبعاداً أيديولوجية وثقافية نابعة من حقيقة الواقع وتجلياته وتصوراته في تجربة المبدعين وما يفصحون عنه في أجناسهم الأدبية، فجاء الشعر الفلسطيني يحمل مضامين موضوعية توحي باستدلالات عميقة حول وعد بلفور وما شكّله من حدث تاريخي لاقى حيزاً كبيراً في وجدان الشعراء وإبداعاتهم النصيّة عبر تاريخ الأدب الفلسطيني، ومن هنا برزتْ مشكلة البحث.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

ما استدلالات وعد بلفور وأبعاده الفكرية والثقافية في سياق الشعر الفلسطيني؟

أهمية البحث: بيان استدلالات وعد بلفور وما يشتمل عليه من أبعاد فكرية وثقافية في سياق الشعر الفلسطيني، وتفصيل القول في تصور الشعراء لوعد بلفور ومضامينه الفكرية والثقافية عبر تجربتهم وإنتاجاتهم، وتقديم تحليل لاستدلالات الشعراء وتصوراتهم لوعد بلفور من خلال التجربة الأدبية الفلسطينية، وإثراء مكتبة الأدب الفلسطيني بدراسة جديدة؛ ليتسنى للباحثين والدراسين والجهات ذات الاختصاص الاستفادة من محاور البحث وأفكاره، وترتبط أهمية البحث بمشكلته المطروحة التي يسعى إلي علاجها.

أهداف البحث: التعرف على استدلالات وعد بلفور في سياق الشعر الفلسطيني مع استجلاء أبعاده الفكرية والثقافية، والكشف عن المرجعيات النصيّة لوعد بلفور في سياق الشعر الفلسطيني وانعكاساته الفكرية والثقافية؛ لبيان مشكّلات الخطاب الشعري المنجز وتداولياته حول استحضار وعد بلفور في بنية نصوص الشعر الفلسطيني، وترتبط الأهداف بمشكلة البحث وأهميته، فهي ذات تكثيف دلالي لما يجده من متن تفاعلي يدعم محتوى موضوع البحث وتطبيقاته.

منهج البحث: المنهج الوصفي القائم على التحليل والدراسة مع الاستعانة بعلم النص وتحليل الخطاب كمنهج حديث في استنطاق النصوص واستقرائها، وتم التعامل مع النصوص بشكل شمولي على أنها بنية خطابية ذات سياق أدبي له خصوصيته كجنس شعري دون التدخل في مرتكزاتها عند المعالجة، ولكن البحث حدد ملامح الاستدلالات والحديث عمّا يمثلها؛ لذلك ركز البحث في تحليل موضوعه على استحضار نماذج شعريّة من الأدب الفلسطيني تتحدث عن وعد بلفور ومتعلقاته، وبيان انعكاسات ذلك على الحالة الفكرية والثقافية للشعب الفلسطيني، ومن الشعراء الذين اعتمد البحث في مادته عليهم: " الإسكندر الخوري البيتجالي ، ومحيي الدين الصفدي، وبرهان

الدين العبوشي، وعبد الكريم الكرمي، وأبو الإقبال اليعقوبي، وإبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وإسعاف النشاشيبي، وسليمان التاجي الفاروقي، ومحمد العدناني، ومصباح العابودي، وعيسى الصفدي، وإبراهيم الدباغ، وسعيد العيسى، ومحمد طه، ويحيى برزق، وعبد الرحمن بارود، وعدنان النحوي، ومحمد صيام"، والاستعانة بالمصادر والمراجع التي تتعلق بأساس مشكلة البحث ومحاور ومباحثه.

المبحث الأول: استدلالات وعد بلفور وأبعاده الفكرية والثقافية في سياق الشعر الفلسطيني.

يحمل الجنس الأدبي في طياته محاور وموضوعات لها استدلالاها على مستوى البينة والتشكِّيل اللُّغوي للجنس الأدبي، فالتفاعل بين المعنى المعجمي والسياقي يتم عبر الدلالة التي هي غاية المبدع، وأداة النص في إنتاج نفسه[19:1]، ويدور كل ذلك في سياق خطاب أدبي له حدوده وتداولياته؛ علاوةً على الطرح وعمق التجربة في التعبير والبوح، يمكن بيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: الاستدلال على حادثة وعد بلفور والحديث عنها.

نظم شعراء فلسطين كثيرًا من القصائد التي تعبر عن حادثة وعد بلفور عام (1917م)، التي وعدت بها بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فتحدث جسد الشعراء عن وعد بلفور وقسوته وسهامه الغادرة؛ فيقول محمد طه في قصيدته "في ذكرى وعد بلفور"[343/1:2]:

يـــا ذكـــرى الوعـــد المشـــئوم حلـــت بالشـــعب المظلـــوم
بلفـــور أخـــزاه الله بالشـــر أتانـــا كـــالبوم
أعطـــى ذاك المجـــرم وعـــدا ألقـــى بالســـهم المســـموم
ألقـــى بالســـهم وشـــردنا لهفـــي علـــى للحـــق المهضـــوم
قـــد صـــوب ســـهما للقلـــب تبـــا للوعـــد المشـــئوم
والعـــالم أضـــحى مشـــغولا عـــن جـــرح الشـــعب المكلـــوم
وانخـــدع النـــاس وقـــد ضـــلوا بســـراب الحـــل الموهـــوم
فـــي ظـــلال ســـلام خـــوار كـــم يخـــدع اليحمـــوم
وأخيـــرا عـــدنا للحـــق عـــدنا لرحيـــق مختـــوم
عـــدنا لكتـــاب الله والتائـــب لـــيس بملـــوم
وحمـــاس جـــاءت بـــالحق ســـعيا للنصـــر المحتـــوم

وكتائـــــــــب عـــــــــز تعلنهـــــــــا ســـــــــحقا للحـــــــــل المهـــــــــزوم
إن الإســـــــــلام هـــــــــو الحـــــــــل فيـــــــــه إنصـــــــــاف المظلـــــــــوم
فيـــــــــه إحقـــــــــاق للحـــــــــق دحـــــــــرا للطـــــــــرح المزعـــــــــوم

استعرض الشاعر وعد بلفور المشئوم الذي غبن الشعب الفلسطيني، وأجحف بحقهم وأعطى من لا يستحق ما لا يملك، إنه وعد بلفور رمز الشر كما اليوم رمز الخراب والدمار إنه جلب الدمار والخراب، وتحدث الشاعر عن حالة الخداع والمراوغة، التي قامت بها بريطانيا محذراً من سراب الحل والسلام الموهوم والمفاوضات العبثية مع المحتل، ويرشدنا الشاعر لطريق الحق والسداد، ويدعو المخطئين للتوبة والمغفرة عما ارتكبوه من حمق ومقت بحق الشعب الأعزل، مبيناً طريق الحق الذي تنكبته حماس وسعيها الدؤوب لتحقيق النصر وصناعة الانتصار، ورفض حلول السلام وسحقها لما فيها من بخس لحقوق الشعب الفلسطيني، ورسم المنهج القويم للتخلص من وعد بلفور ومواجهته بالمنهج الإسلامي القويم الذي ينصف المظلومين ويردع المعتدين، ويقدم للعصر المادي باب النجاة والحل والمخرج، فهو "يقدم كل تراثه الروحي دون أن يكلفه أن ينزل عن شيء من مكتسباته العلمية أو تفوقه المادي"[149:3]، ويحقق الحق ويدحر الوعد المزعوم على ثرى فلسطين، فكل ما سبق يمثل نواة أساسية صلبة تساعد على تمكين البعد الفكري بين أبناء المجتمع، وتعزيز البعد الثقافي ومرتكزاته الرئيسة من خلال نشر تطبيقاتها.

ثانياً: مكر الإنجليز وخداعهم.

تبيّن استدلالات الخطاب في وعد بلفور الإنتاج الأدبي في حيثُ تكويناته وارتباطاته بالعلامات والقواعد والإشارات النصيّة في السياق، وتبيّن استدلالات الخطاب في وعد بلفور الإنتاج الأدبي في حيثُ تكويناته وارتباطاته بالعلامات والقواعد والإشارات النصيّة في السياق، فيمثل ذلك كنزاً اجتماعياً له وجوهه الفكرية والثقافية الموجودة في الدماغ والوجدان[4: 11]؛ فتحدث الشاعر الاسكندر الخوري البيتجالي مكر الإنجليز وخداعهم، ونقضهم للعهود ونكثهم للمواثيق؛ فيقول[95:5]:

وعـــــــد ولا هـــــــو كـــــــالوعود خـــــــدعوا بـــــــه أمـــــــم اليهـــــــود
أمٌ تنـــــــــــــوم طفلهـــــــــــــا والطفـــــــل يخـــــــدع بالنشـــــــيد
كـــــــــــــالمغرم المفتـــــــــــــو (م) ن يقنـــــــع بالتعلـــــــل بـــــــالوعود
والختـــــــل فـــــــي شـــــــرع الســـــــيا (م) ســـــــة لـــــــيس بـــــــالأمر الجديـــــــد
مهـــــــلا بنـــــــي "التـــــــاميز" بـــــــالأعراب والأمـــــــــــــل الوطيـــــــــــــد
لا تعبثـــــــــوا بـــــــــالله بـــــــــالودّ القـــــــــديم وبـــــــــالعهود
أو تـــــــؤثرون علـــــــى العُـــــــرو (م) بـــــــة وُدَّ ناعمـــــــة الخـــــــدود

أم أنكـــــــم قـــــــد بعـــــــتم ود الأعـــــــارب بـــــــالنقود؟
أو لـــــــم نســـــــاعدكم علـــــــى الأتـــــــراك والخصـــــــم اللـــــــدود؟
لـــــــولا تعشـــــــقنا لكـــــــم لبقيـــــــتم خلـــــــف الحـــــــدود
ولمـــــــا دخلـــــــتم أرضـــــــنا بـــــــالإنكليز وبـــــــالهنود

تحدث الشاعر عن خداع الإنجليز ومكرهم ودهائهم في صورة شعرية شبه فيها فعّال بريطانيا بالأم التي تخدع طفلها من أجل أن ينام وحتى يغفو وفي ذلك إشارة إلى تنويم الشعور العربي، وبيّن الختل والغدر ديدن أهل السياسة، والتاميز نهر ببريطانيا، وبني التاميز كناية عن الإنجليز، أنذرهم الشاعر من العبث بالود والقيم التي تربط بالعرب، ويتساءل الشاعر مستغرباً عن بيع ود العرب بالنقود، ويذكر الإنجليز بالمساعدة التي تقدمها العرب للانقلاب على الخلافة العثمانية، كل هذا يدلل على الحالة الشعورية التي يكتنزها الشاعر تجاه وعد بلفور، التي ترجع في أصول استدلالاتها إلى السياق الفكري والثقافي والاجتماعي الذي يكتنف الاستعمال اللغوي[6: 92]، وأدّى هذا الحديث عن حادثة وعد بلفور إلى الإسهام في تثبيت مقومات البعد الفكري والثقافي بين أبناء المجتمع الفلسطيني؛ لأن ذلك يوقظ المشاعر ويوجه الأيديولوجيات والأفكار إلى الوجه الصحيح للتعامل مع ساحة الصراع القائمة، وفق منهج صحيح رشيد مستقيم يراعي المصالح الحقيقية للدولة وينسجم مع المبادئ والثوابت الكبرى للشعب الفلسطيني، ساهم السياق في إنتاج استدلالات وعد بلفور وتدعيمها عبر استجلاء رسائل نصوص الخطاب؛ علاوة على ما يمتلكه النص كمتن لغوي من نبر وتغيرات صوتية أثناء التواصل بين أقطاب العملية الإبداعية، فيمثل ذلك مساعدات كلامية[19:1]، تبرز المعنى وتوضحه وتدعم دوائر تفاعلاته.

ثالثاً: الاستدلال على آثار وعد بلفور ومآلاته.

تصوير وعد بلفور في الخطاب الشعري وما نجم عنه من آثار كارثية وابتلاءات على الأمة العربية والإسلامية، وثمة إشارات إلى دلالة الكلمات تنتج في سياق شعري متنوع[20:7] استطاع شعراء فلسطين من خلاله رسم مآلات وعد بلفور واستشرافها في بينة أشعارهم، وتشير استدلالات ذلك إلى صدق العاطفة وقوة الوجدان الذي يتّصل بغايات الجماهير وأهدافهم؛ فيقول الحاج محيي الدين الصفدي[5:101-102]:

كـــم كـــان وعـــدك يـــا بلفـــور مشـــأمة أعـــوذ بـــالله مـــن شـــؤم المواعيـــد
جـــر الـــبلاء وأســـباب الـــبلاء إلـــى أرض مباركـــة الأمصـــار والبيـــد
ظـــن اليهـــود بـــأن الوعـــد أرجعهـــم لعهـــد يوشـــع أم أيـــام داوود
ومـــا دروا أن مقـــت الله حـــل بهـــم مـــا حيلـــة العبـــد فـــي تقـــدير معبـــود
وأنهـــم أينمـــا حلـــوا أو ارتحلـــوا معـــاقبون بتنكيـــل وتشـــريد
ومـــا ذاك إلا لكيـــد فـــي طبـــائعهم للناس يجري كمجرى المـــاء فـــي العـــود

توارثـــــوه فيمـــــا ينفـــــك ميـــــزتهم منـــــذ التمـــــائم فـــــانظر أيّ مولـــــود
ليعلمـــــوا فلعـــــل العلـــــم يـــــردعهم أو يخرج الحســـن مـــن أحشـــاء جلمـــود
دون الـــــبلاد وتهويـــــد الـــــبلاد كمـــــا يـــــرون عـــــزم أبـــــاةٍ غيـــــر مـــــردود
وأمـــــة وثبـــــت تحمـــــي حقيقتهـــــا فـــــي ذا الوجـــود ولا ترتضـــى بموعـــود
فـــــالله يشـــــهد والتـــــاريخ مرتقـــــب فيه الصحائف مـــن بـــيض ومـــن ســـود

استجلى الشاعر الحقائق التاريخية ومتعلقاتها المرتبطة بوعد بلفور المشئوم عبر الاستعمالات السياقية في نصوص الخطاب التي توضح المعنى وتبرزه عند الحق[8:290]، والذي بيّن من خلاله طِباع الإنجليز من مكر ودهاء وخِداع، وكشف عن صمود الأحرار الأباة الذين لم يأنفوا الذل وتصدوا للمؤامرات، التي حاكها إنجليز وبني صهيون، وبيّن همم الأمة في الجهاد والوثب على عدوها فهي أمة تأبى الذل والخيانة، وأكد بأن الله شهيد على الأفعال، وأن التاريخ لا يرحم، وسيفضح الفِعال كافةً في صحائفه ووثائقه البيض والسود، وفي هذا تناص أدبي مع قول أبي تمام الحصري[9: 2/480]:

الســـيف أصـــدق إنبـــاءً مـــن الكتـــبِ في حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ
بـــيضُ الصـــفائحِ لا ســـودُ الصـــحائف فـــي متـــونهنَّ جـــلاءُ الشـــكِ والرِّيـــب

وكأنه استجداء لنهج مقاومة المحتل الغازي وأعوانه، فلا سبيل إلا للسيف ولا يكون النصر إلا تحت ظلاله، وهذا كله يبرز دعائم التكوين الفكري والثقافي عند أبناء الشعب الفلسطيني؛ مما يشكِّل شخصية قوية ذات أبعاد عربية وإسلامية تضرب بجذورها داخل الكيان القومي الأصيل.

رابعاً: التحذير من وعد بلفور.

تحذير قوى الاستعمار من عاقبة وعد بلفور، تلك الخطيئة التي حاكها أهل المكر والدهاء؛ للتخلص من شذاذ الآفاق على حساب الشعب الفلسطيني وتحقيقاً لرغبات اللوب الصهيوني؛ فقال برهان الدين العبوشي موضحاً ذلك[10:45]:

ســـلوا(لندنا) كـــم ذا رأت مـــن مصـــيبة وكيـــف رماهـــا الله بـــالكرب والـــبلا
وعـــاد فوقاهـــا فمـــا شـــكرت لـــه بـــل انتـــدبت للهـــدم فأســـا ومعـــولا
صـــبرنا عليهـــا وانتظرنـــا حلولهـــا فجـــرَّ علينـــا الصـــبر ويـــلا ونكلـــا
هـــو الغـــرب إن تصـــفعه يأتـــك صـــاغرا وإنْ تغشـــك الظلـــم فالســـيف تجتلـــى
ومـــا المـــوت إلـــا واحـــد إن خشـــيته أتـــاك وإن تقحمـــه فـــرّ وهـــرولا

فخضـــهُ فمـــا بالســـلم عـــزٌ لصـــاغر ولا ترضَ غيـــر المـــوت بـــالعز مـــنهلا

إن الكلمة في مبدأ الوطنيين لها ميزانها، وهي حرة لا تنطفئ جذوتها، والدماء التي تسيل من أجساد الأحرار ستبقى منارات تضيء الدرب للأجيال القادمة، والثورة في نفوس الأحرار تتجسد دوماً دليل على الاضطهاد الفكري والجسدي، ولكل معالم الحياة في مواجهة فوهات البنادق، ومن خلال متابعتنا للنص، يُلاحظ بأن الشاعر أعطى للكلمة وللحرف أبعاداً لا متناهية وخاصة عندما يتطرق للمعاناة، وذلك عبر إيقاعات داخل النص فلم تعد الكلمة تدل على ذاتها، وإنما وجدناها زاخرة بالمعاني والدلالات[288/2:11]، وهذا ينبع من قيم فكرية وثقافية يُؤمن بها الشاعر راسماً من خلالها نهج ثوري هدفه شحن الشعور وتمكين الجهور وصيانة فكره وثقافته من التشوه والانحراف عبر المنجز الكلامي وسياقاته[161:12]، التي تتناول وعد بلفور، ويحذر العبوشي من مكر الإنجليز وخداعهم، في قصيدته" لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين"؛ فقال[119:10]:

أرهقتمونـــــا وقـــــربتم منايانـــــا واليـــوم تبغوننـــا ننســـى ضـــحايانا

لـــم تتركـــوا فوقهـــا أنثـــى ولا ذكـــرا إلا قتلـــتم لـــه أهـــلا وخلانـــا

ولـــم تراعـــوا لأهـــل الـــدين حـــرمتهم بـــل انتـــدبتم وراء الجـــور صـــبانا

يذكر الشاعر بجرائم المحتل وغدره وخيانته للأحرار الأطهار، ويتحدث عن المصائب التي مُني بها الشعب الفلسطيني على يد قوات الإنجليز، من أجل إذكاء روح الثورة في وجه الغازي الغادر وصد عدوانه على أبناء شعبنا، فإحياء الشاعر لهذه القيم وتعبيره عنها في ثنايا خطابه يدل على متانة الفكر وقوة الثقافة التي يحملها، والتي تبرز استدلالات النص عبر السياق الذي يسهم تدعيم أسس الكفاية الثقافية عند جمهور المتلقين[51:13]، لقد افتتح قصيدته بتناص ديني من الأحاديث النبوية الشريفة، في قوله(ﷺ):"لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ"[31/8:14]، وهذا يدلل على مدى إبداع الشعراء في تمكين التكوين الفكري والثقافي ونشر قيمه بين أبناء الشعب الفلسطيني ورسم طريق الخلاص له من زمرة الفاسدين والضالين.

خامساً: اللؤم والدهاء ومؤامرة بلفور.

تعجب الشاعر إبراهيم الدباغ من صنيع اللؤم الماكر الذي أنجب بدهائه ومؤامراته وعد بلفور، تلك الأغلوطة العجيبة في اغتصاب فلسطين بدم بادر وتفكير شرير يعبر عن الشهوات الاستعمارية للانتداب ونزوات حب السيطرة للمحتل الغاصب، وعرض حال الأمة في زمن خارت فيه العزائم ووهنت فيه الهمم، فأصبحت الأمة لا حول ولا قوة لها؛ فقال[89:5]:

مـــا وعـــد بلفـــور أمـــر الســـماء ولا في الجدب مـــن أرضـــنا زرع لمحتطـــب

هـــل وعـــد بلفـــور تشـــريع إذا فرطـــت أغلوطـــة منـــه تـــدعو للنـــاس للعجـــب؟

مـــا الانتـــداب أمـــر مـــاه وغايتـــه إذلال حـــرٌ أبـــي باســـم غيـــر أبـــي ؟

أم الانتـــداب يـــرامُ الاغتصـــابُ بـــه معنـــى وأحرفـــه فـــي ذمـــة العـــرب؟

لمـــا انتـــدبتم حسِـــبنا خيـــر منتـــدب موفـــق وابتلينـــا شـــر منتـــدب

برع الشاعر في رسم روح الثورة والرفض التي يحملها في خفقات قلبه وفي بنيات أفكاره، وبثها في ثنايا نصه الشعري، مستخدماً أسلوب الاستفهام للتعبير عن الحالة الشعورية التي يمر بها جراء هذا الوعد المشئوم، مبيناً غاية الانتداب في إذلال الشعب العربي الفلسطيني، في ظل تهاون القيادات العربية باعتقادهم أن الانتداب سيخلصهم من المآزق السياسية التي وقعت بظلمها على كواهلهم، فكان الشر المستطير من حقد الإنجليز وأعوانهم.

سادساً: الثورة والغضب ضد وعد بلفور.

بيان حال القضية الفلسطينية من جراء وعد بلفور في سياق خطابي له استدلالاته التي تمثل ركناً مهماً من أركان التكوين الدلالي وتشكيل رسائل النص ومقاصده[163:12]، فتحدث الشاعر عمّا لحق الشعب الفلسطيني من آثار مدمرة لسحق الوجود الفلسطيني، وإحلال محله شعب مشرذم مستعمر مبني على الظلم والعدوان والسلب والنهب والإغارة على الآخرين وترويعهم من أجل تحقيق أهدافه وأطماعه الاستعمارية، في جريمة بشعة أمام مرأى ملايين من بني البشر، ارتكبها شذاذ الآفاق ومن والاهم من ماكرين وخبثاء، فأكد الشاعر محمد صيام على اللعنة التي استحقها على المحتلين والغزاة، وعبر عن الأسى والغضب الذي عمّ وطمّ على الشعب الفلسطيني؛ فيقول[161/1:15]:

أمـــا قضـــيتنا فالكـــل يلعـــنهم وشـــعبنا مـــنهم آس وغضـــبان

فـــالحظ أوقعنـــا يومـــا لســـلطتهم فكـــان مـــن ظلمهـــم للشـــعب ألـــوان

يعطـــون وعـــدا لشـــذاذ صـــهاينة كـــل لســـفك دمـــاء الخلـــق ظمـــآن

بيّن الشاعر موقفه ضمن موقف الشعب الفلسطيني الأبي، الذي هب في وجه الغزاة منذ فجر التاريخ، فكم من معارك ضد الغزاة خاضها أبناء الأمة على ثرى فلسطين عبر التاريخ؛ مما جعل فلسطين نبراساً يُهتدى به في تجاربها مع الغزاة المحتلين، وعبر الشاعر عن ظلم الإنجليز الذي اتخذ ألوان متعددة، وكشف عن الطبيعة الشريرة للصهاينة مصاصي دماء الخلق، وهذا إقرار بطبيعة الصهاينة الذي يرون العالم عبيد عندهم، فهم شذاذ آفاق في حالة من التشرذم لذا نجد أن" مشكلة الهوية هي من المشاكل التي تسبب إزعاجاً لليهود منذ أكثر من قرنين من الزمان"[9:16]، مما يشير إلى أن المجتمع الصهيوني مبني على أساطير وأوهام، استطاعت الصهيونية تجميعه من خلال لعبها على وتر العاطفة الدينية، إن الخطاب الصهيوني قائم على أسس توراتية لاختلاق دولة (إسرائيل) القديمة، فهو" أسلوب بلاغي في خطاب الدراسات التوراتية، وقد لعب دوراً حاسماً في إسكات التاريخ الفلسطيني"[43:17]، وهذا ما أكده الكاتب(الإسرائيلي) يهوشوع بقوله المأثور باعتباره تلخيصاً لفكرة الاستمرار التسلسلي بين الماضي والحاضر:" لم تعد المساداة هي الجبل التاريخي بالقرب من البحر الميت فقط، بل إنه جبل متنقل نحمله فوق ظهورنا أينما ذهبنا"[43:17]، إن هذا الفهم التسلسلي للتاريخ مهم جداً لأي ادعاء بامتلاك الأرض، وهذا الادعاء هو الذي يسكت أي مطالبة بالتاريخ الفلسطيني وبالتالي بالأرض ذاتها، ومنذ إنشاء دولة (إسرائيل) الحديثة أعيد فرض ذلك في خطاب الدراسات التوراتية عند الإسرائيليين التي اهتمت وشغلت نفسها

بالبحث عن جذورها في تاريخ إسرائيل القديم، كما يوضح ذلك مشروع المساداة بجلاء، وعلى ذلك فإن تاريخ دولة (إسرائيل) ما هو إلا محض افتراءات وأباطيل بثها بني صهيون لإغواء الناس وتضليلهم، بدليل ما تم ذكره.

سابعاً: الحيرة والقلق من وعد بلفور ونتائجه.

وعبّر الخطاب الشعري عن الشعور بالحيرة والتخبط من جراء وعد بلفور، الذي جسد مرحلة التيه الذي تمر به الأمة، فمكر الأعداء وهوان الأمة وضعفها، أنتج مؤامرات ودسائس للنيل من مقدرات العلم العربي وشعوبه؛ فقال سعيد العيسى[184:5]:

رب إنـــــي حـــــائر فـــــي أمـــــة أسلســـت فـــي حيـــرة منهـــا القيـــاد

ومضـــت تخـــبط فـــي غيـــر هـــدى مـــا لهـــا الـــوعي ولا فيهـــا الرشـــاد

عصـــفت مـــن حولهـــا البلـــوى فمـــا لقيـــت فـــي ســـاحها غيـــر الرمـــاد

يـــا لهـــذا الـــوطن العـــاني أمـــا من (صلاح الـــدين) فـــي هـــذي الـــبلاد

صرّح الشاعر بالحيرة والصدمة من حالة البلبلة التي نجمتْ عن غدر بريطانيا بالعرب، وذلك من خلال استخدامها للأساليب الخدّاعة والمنافقة "لتفكيك الإمبراطورية العثمانية والاستيلاء على المناطق التي كانت تحت الحكم العثماني"[163:18]، وتوجيه طعنة غادرة إلى قلب الأمة فلسطين، من خلال وعد بلفور اعتبارها وطن قومي لليهود، إن المرحلة التي أُعلن فيها وعد بلفور شكلت عاصفة من النوائب والمصائب التي جلبها المحتل على الأمة العربية، وتنهض دلالات النص التي ساقها الشاعر من خلال استحضارها من تاريخ بطولي تمثل في القائد العظيم "صلاح الدين" خارجة من دلالاتها الصامتة إلى حراك يخاطب الأمة، ويعلنها انطلاقة جهاد وثورة، فيصغي المتلقي لانتصاب قائد عظيم يحمل هم الأمة حتى في قبره، فيستنهض الأمة ويوجه الجيش، ويقلل من شأن الأعداء، في دلالات "دوخت أوروبا" و"شذاذ أشرار" غير أن صيحة صلاح الأمة بوحدتها، وكان ذلك حينما تسلم صلاح الدين الراية، وأقام التراتيب الإدارية الواجبة لدحر الفرنجة وتحرير القدس، "وأهم هذه التراتيب جمع الممالك الإسلامية– وما أكثرها!– على هدف واحد، والمشاركة بالمال والنفس في معركة التحرير تحت قيادة واحدة"[552–551/2:19]، وهذا يدلل على صدق النهج وسلامة الفكر وحيوية الثقافة التي يحملها الشعراء في ثنايا صدورهم وكلماتهم.

ثامناً: قبح وعد بلفور.

واستمرارية التنفير من وعد بلفور اللعين، فأمعن الشعراء في تقبيح صورته على مرور كل ذكرى له، وبيان معالم المكر والدهاء الفكري والثقافي التي اشتمل عليها وعد بلفور، فقال محمد صيام في قصيدة له بعنوان الذكرى التسعين لوعد بلفور اللعين[81:20]:

تسعون عاماً منذ أعلن وعد بلفور الشقي

فبدت معاناة لشعب بلادنا الحر الأبي

وتبني الشعراء على اختلاف توجهاتهم، منهج يقوم على رفض وعد بلفور ومجابهة بالجهاد والثورة والكفاح بألوانه كافةً؛ فقال أبو الإقبال اليعقوبي[46:21]:

بلفـــــور لا أهـــــلا ولا ســـــهلا ببلفـــــــــور اللـــــــــدود
الغـــــــــادر الأبـــــــــاة النـــــاكر الماضـــــي المجيـــــد
الجاعـــــل الـــــوطن المؤيـــــد بالعروبـــــــــة لليهـــــــــود
شـــــــلت يـــــــد عملـــــــت علـــى مـــا فيـــه تمزيـــق القيـــود
ورمـــــــت بنيـــــــه المخلصـــــين بكـــــــل جبـــــــار عنيـــــد
وقضـــــت علـــــى قبـــــر المســـــيح ومهـــــده خيـــــر المهـــــود

يتّضح النفس الثوري الرافض المنبعث من عقيدة راسخة عند الشاعر، ومن ثقافة أصيلة وفكر سليم يأبى الذل والخضوع والهوان، ويسعى إلى نشر العدل والإنصاف ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف والوقوف عند مسئولياته الإنسانية والوطنية والتاريخية تجاه الحياة الإنسانية؛ مما يساعد على "حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينالها عدوان أو ينزل بها أذى؛ لأن ذلك من شأنه أن يقضي على ما لدى الناس من شعور بالهدوء والطمأنينة والاستقرار ويهدد حياة المجتمع[54:22]، فكشف الشاعر عن قيم الغدر والخيانة التي قام بها الإنجليز وتسليمهم البلاد بكل برد وسلام وضربوا وعودهم للعرب بعرض الحائط، مما شكل ضربة قاسية للعالم العربي وترك آثار جسيمة نعاني منها حتى يومنا هذا، وكل ذلك يؤثر على التكوين الفكري والثقافي في المجتمع الفلسطيني والعربي.

تاسعاً: التنوير بخطورة وعد بلفور وتثوير الجماهير.

إن شعراء الأدب الفلسطيني يحملون همّ قضيتهم، فعملت كلماتهم على تنوير الفكر المجتمعي، بما يحقق فاعلية في البعد الفكري والثقافي للأفراد والجماعات التي كافحتْ على ثرى فلسطين، وهذا أسهم في تشكيل الوعي الحضاري لدى الشخصية الفلسطينية، فامتزج الألم بالنفير من الوعد الدخيل، عندما رثى إبراهيم طوقان الشاعر عبد المحسن الكاظمي، في قوله[231:23]:

أبـــا المكـــارم أشـــرف مـــن عـــلاك وقـــل أرى فلســـطين أم دنيـــا الأعاجيـــب
وانظر إلينـــا وســـرِّح فـــي الحمـــى بصـــرا عن الهـــدى لـــم يكـــن يومـــا بمحجـــوب
تجـــد قويـــا وفـــي وعـــد الـــدخيل ولـــم يكـــن لنـــا منـــه إلا وعـــد عرقـــوب
ومـــرَّ ســـبع وعشـــر فـــي الـــبلاد لـــه وحكمـــه مـــزج ترهيـــب وترغيـــب
قـــد تنتهـــي هـــذه الـــدنيا وفـــي يـــده مصـــيرنا رهـــن تـــدريب وتجريـــب

كشف الشاعر عن جريمة الإنجليز بجلبهم الدخلاء شذاذ الآفاق إلى ثرى فلسطين الطاهر، وجسد وعد بلفور بتناص أدبي نابع من معين هويتنا الفكرية والثقافية، وهو مثل:" مواعيد عرقوب"، فعرقوب رجل من العماليق ، أتاه أخ له يسأله شيئاً، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير بلحاً، فلما أبلحت أتاه فقال له: دعها حتى تصير زهواً، فلما أزهت قال له: دعها حتى تصير تمراً، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعط منها شيئاً، فصار مثلاً في الخلف[24: 87]، وفي هذا تجسيد لواقع بلفور ودلالة على الغدر والخيانة ونية المكر عند الإنجليز الذين أعطوا اليهود وطناً قومياً لهم بوعدهم المشئوم، إن الرجوع على التراث العربي يدلل على عمق فكرنا وأصالة ثقافتنا التي تنور العقل العربي وتتبني الشخصية المستقلة وتطورها وتنميها، بتعزيز مقومات صمودها وثباتها للسير على نهج الأحرار الأبرار، إن الصور التي ساقها الشعراء عبر رؤيته الخاصة والمستمدة من التراث تظهر صياغة شعرية جديدة ومتميزة بحيث شعرنا ونحن نتتبع هذه الصور بأن الشاعر يُخبِئ وراء الكلمات إيحاءات وترميزات، ووراء الفكرة أيضاً معاني تكتنزن بكل أطراف الموضوع وصولاً إلى مرحلة الخلاص، ولم يصل الشاعر إلى هذه الرؤيا الخاصة، والاستنتاج المتميز إلا من خلال الكلمات التي أجاد في بنائها وترتيبها وربطها ببعضها بعض[11: 2/288]، فظهرتْ الاستدلالات في حديث الشعراء عن وعد بلفور عبر الكلمات التي تتراصف مع السياق وتتوافق في وقوع المعنى والدلالة[25: 300]، فاتّهم الشاعر عبد الرحيم محمود الزعامات العربية وصفوتها، بأنها المعين الأول للاستعمار والانتداب بفلسطين؛ مما وفر التربة السياسية الخصبة لإعطاء هذا الوعد ومنحه لليهود، فيأتي " البلاء عندما تصاب هذه الصفوة أو تفسد أو يقع الشقاق بين أفرادها، فتختلف وتعجز عن القيادة، وهذه ظاهرة نعرفها جيداً في الهيئات الحاكمة أو الأسرات المالكة التي تولت أمورنا"[26: 103]، فقال في قصيدته "عيد الجامعة العربية"[27: 41-42]:

حفي اللسان وجفت الأقلام ... والحال حال والكلام كلام

مرت بنا الأيام لم نسلك بها ... جدد الصواب ومرت الأعوام

وتخاصم القواد بين مشرق ... ومغرب وتقطعت أرحام

ظنا نقول غداً غداً هل حققت ... للائبين على غدٍ أحلام

ظنا نقول غداً يفيق ضمير من ... فقد الضمير ويعدل الظلام

بلفور ما بلفور ماذا وعده ... لو لم يكن أفعالنا الإبرام

إنا بأيدينا جرحنا قلبنا ... وبنا إلينا جاءت الآلام

والخطب فرقنا قبائل جمة ... والخطب عند عداتنا لمام

يا قادة إلا الذين مثوبة ... وأقلها التعريف والإعلام

أو لـــيس مـــن دور لنـــا نلهـــى بـــه إلا وداع حامـــــــل وســـــــلام

يؤكد الشاعر أن الكلام لا يجدي نفعاً، فالحال على ما هو عليه من ظلم وقتل وسحق وتشريد، ويلاحظ أن "الخطاب الاستعماري ذاته ساهم في تشكيل الخطابات القومية التي نشأت في الأساس لمجابهة هذا الاستعمار"[17: 39]، لذا لا نجد خطاب القيادات ينطلق مما يُنادي به أحرار الشعوب وأصحاب الرؤى الثاقبة لإزالة العوائق والشبهات التي تقف في طريق الحرية والاستقلال. واستخدم الشاعر بنية الترديد لكثير من الألفاظ مثل:" حال، الكلام، غدا ضمير، بلفور، الخطب"، وفي ذلك دلالة على عمق المأساة التي مر بها الشعب الفلسطيني، التي فجرت ينبوع الفكر ومعين الثقافة لدى الشعراء وجمهورهم؛ مما أنتج أدباً ملتزماً بقضايا الأمة الفكرية والثقافية، وهذا انعكس على فاعلية التكوين الفكري والثقافي بين جمهور المخاطبين ومتلقي رسائل النص.

عاشراً: ذم السياسة والدعوة للوحدة والميل إلى استنهاض الهمم والنفير في وجه الطغاة.

ذم الشعراء السياسة والعمل بها التي أنتجت مزيداً من التنازلات والوعود التي تبخس حق الإنسان الفلسطيني، فرأى الشاعر عبد الرحيم محمود فيها ضرباً من الكذب والنفاق، والاختلاف فيها يؤدي إلى سفك الدماء، وهي سبب كل المصائب، يقول[50:21]:

كـــــل السياســـــة فريـــــة وريـــــاء لا العقـــــل مصـــــدرها ولا العقـــــلاء

تلـــك التـــي تـــدع الـــدماء ســـوائلاً إن لـــم تكـــن مـــن شـــأنها الأســـواء

لا خيـــر فيهـــا والخطـــوب خطوبهـــا إن السياســـــة غـــــارة شـــــعواء

لـــم يخلـــق البغضـــاء فينـــا غيرهـــا والشـــر تضـــرم نـــاره البغضـــاء

يؤكد الشاعر على عبثية النهج السياسي في التعامل مع الانتداب والمحتل الغازي، الذي يتلاعب بمقدرات الشعب الفلسطيني وثوابته الوطنية، ويبين ما آلت إليه أوضاع الفلسطينيين من أفعال المحتل – قتل ونفي وسحق– "كانت القوة وما زالت محور الارتكاز الرئيسي في تحديد الاستراتيجيات القومية للدول، وفي تكييف أنماط علاقاتها الخارجية وتقرير طبيعة الأهداف المتوخاة من وراء هذه الاستراتيجيات والسياسات" [136:28]، ومن خلال استقرائنا لاستدلالات الشعراء لوعد بلفور، نجد أنهم ركزوا على المنهج الثوري القائم على رفض المحتل وعدم الاعتراف به أو التفاوض معه بأي حال من الأحوال، وهذا انعكس على تثبيت مقومات التكوين الجماعي الفكري والثقافي أمام التحولات الاستراتيجية على الساحة السياسية.

فلا خير في السياسة وهى صاحبة المصائب والنوائب التي ألمت بالشعب الفلسطيني، فوعد بلفور المشئوم الذي منح اليهود وطن قومي لهم في فلسطين، مثّل هزةً قويةً للكيان الفلسطيني والعربي، وهذا أذكى روح الجهاد والنضال والمقاومة، وبيّن النهج الصحيح الواجب اتباعه، ويجسد ذلك قاعدة أساسية في بناء التكوين الفكري والثقافي عند عموم أبناء الشعب الفلسطيني والعربي، وذم الخلافات والشقاقات، وتوجيه النصح للزعامات والقيادات، من أجل الحفاظ على الوطن، ومواجهة مخططات الاستعمار التي تستهدف فلسطين، وتحاول تثبيت الغزاة المحتلين من اليهود، فهذه المعاني التي تضمنها الخطاب الشعري تسهم في تطبيق الفلسفة التي ينطلق منها

البعد الفكري ومكوناته؛ بالعمل على بث روح "الاطمئنان في نفس الفرد والجماعة، على عقائدهم وأفكارهم ومكونات أصالتهم وثقافتهم"[10:29]؛ فيقول في ذلك أبو الإقبال اليعقوبي[50:21]:

خلـــو الشـــقاق ومـــا إليـــه جانبـــاً ... إن الشـــــقاق يولـــــد الأســـــواء

ودعـــــوا التنـــــازع عـــــنكم إن كنـــــتم ... تبغـــون للـــوطن العزيـــز عـــلاء

إن التنـــــــازع لا يفيـــــد وإنمـــــا ... يقضـــي علـــى الشـــعب الكـــريم قضـــاء

ولـــــم التنـــــازع والـــــديار تـــــديرها ... أيـــدي الأُلـــى حرمـــوكم النعمـــاء

أيـــــروقكم أن تصـــــبحوا غربـــــاء ... فـــي أرجائهـــا أو تصـــبحوا بؤســـاء

أو مـــا تـــرون ومـــا بـــأعينكم قـــذى ... هـــذي الخطـــوب وهـــذه الأرزاء

ألهتكمـــو عنهـــا الزعامـــة بينمـــا ... أجـــد الزعامـــة حـــائلاً عجفـــاء

يهيب الشاعر بالإخوة لترك الانقسام والشقاق والنزاع الذي يولد الأسواء والبغض والشحناء في ظل وجود أعداء كثيرين يتربصون بالقضية الفلسطينية، ودعاهم إلى عدم الانسياق وراء حب الرياسة والزعامة، إن الدعوة إلى الوحدة والتماسك في وجه العدوان والمؤامرات والوعود المشؤومة، من صميم الأهداف الاستراتيجية للتكوين الفكري والثقافي لدى الفلسطينيين، ويدعو الشاعر كمال ناصر إلى نبذ التناحر والخصومات والقضاء على الفتنة حتى لا تعصف الخلافات بوحدة العرب في مواجهة قوى الاستعمار؛ فيقول في قصيدته "جريمة الأمس"[21: 113]:

فـــيم التنـــاحر والأخصـــام ترمقنـــا ... إثمـــاً وتلقـــي علـــى أوهامنـــا الرهبـــا

تلتـــذ بالفتنـــة الكبـــرى وتشـــعلها ... وتـــزرع الإفـــك بـــين النـــاس والريبـــا

أخشـــى علـــى بـــلاد شـــر صـــاعقة ... أخشى النـــوازل أخشـــى الساســـة النجبـــا

أخشـــى الخلافـــات أن تـــودي بوحـــدتنا ... بالأمس جـــرت علينـــا الويـــل والحربـــا

يستغرب الشاعر مستفهماً علام يتنازع العرب ويتناحرون؟، والأعداء من حولهم يحيطون بالوطن العربي من كل صوب وحدب، فالشاعر يعبر عن خوفه وخشيه من الاقتتال والفتن والكذب على الناس، ولعل تكرار الفعل (أخشى) فيه دلالة على استمرارية الخلاف والانقسام، وتنبيهاً على خطورة هذه الاستمرارية، وهذا يرتبط بالبعد الفكري والثقافي ارتباطاً وثيقاً؛ لأنه يحفظ البنية المجتمعية والجبهة الداخلية من الاضطرابات والفتن.

حمل الخطاب في وعد بلفور عبر بنية المنتج الشعري والنص وموضوعاته ومعلوماته واتّساقه مع السياق[255:30]، الدعوة إلى الوحدة والتآخي والترابط والتصالح، والتذكير بعهد الآباء والأجداد من عز ومجد

تليد وبطولة وشهامة؛ لمواجهة الغدر الاستعماري ووعوده ومؤامراته ودسائسه؛ فيقول الشاعر أبو الإقبال اليعقوبي[51:21]:

زعمـــاء الـــبلاد هيـــا إلـــى الصـــلح فبالصـــلح وحـــده نجيـــب الرجـــاء
ودعـــوا الحقـــد عـــنكم مـــا اســـتطعتم إنمـــا الحقـــد غـــارة شـــعواء
واتقـــوا الله فـــي فلســـطين حتـــى يعلـــم الشـــرق أنكـــم أتقيـــاء
واســـتعيدوا عهـــد البطولـــة فـــي العـــرب فـــلا تســـتباح تلـــك الـــدماء

إن استحضار التاريخ الماجد في زمن تهاوت فيه الأيديولوجيات وتهافتت فيه الأفكار والثقافات إلى جانب القوي على حساب الضعيف، جعل الشعراء يصدحون بدعائم النهج السليم، هدفهم في ذلك نشر التوعية بالمخاطر المحدقة بالقضية الفلسطينية، وضرورة التماسك في وجه المحتل الغادر والاتفاقيات الإجرامية والمؤامرات التي يحيكها أعداء، وهذا يسهم في بناء التكوين الفكري والثقافي وتوطيد دعائمه عند الأفراد والجماعات التي تكافح من أجل نيل الحرية والاستقلال، وقال الشاعر إسعاف النشاشيبي في قصيدته "فلسطين والاستعمار الأجنبي"[72:21]:

فـــدعوا شـــحنائكم يـــا هـــؤلاء وانبـــذوا العـــداء نبـــذاً والعـــداء
إن الاســـتعمار قـــد جـــاز المـــدى دون أن يعـــدوه عـــن ســـير عـــداء
إن هـــذا الـــداء قـــد أمســـى عيـــاء فتلافـــوه ســـريعاً بالـــدواء
إنهـــا أوطـــانكم فاســـتيقظوا لا تبيعوهـــا لقـــوم دخـــلاء

إن النسق الموضوعي والجمالي في ثنايا النص، المتمثل في أسلوب الكتابة وموسيقى الألفاظ ودلالاتها الموحية التي يفصلها السياق في مورد النص[31: 185]، يؤكد على جبروت الاستعمار وظلمه لأبناء الشعب الفلسطيني، وختم الشاعر أبياته باستجلاء التمسك بالأرض والانتباه والاستيقاظ من الغفوة التي مر بها الشعور العربي تجاه قضية فلسطين، ونهى عن البيع والتفريط بثرى فلسطين للقوم الدخلاء الذين جلبهم الإنجليز بوعدهم ، وهذه دعوة صريحة لتمكين مقومات التكوين الفكري التي تسهم في "الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة"[32: 10]، وقال الشاعر الفلسطيني سليمان التاجي الفاروقي[53:5]:

ألا ليـــت شـــعري هـــل أرى العـــرب أمـــةً يســـاند بعـــض بعضـــها لا تجافيـــا
إذا صـــاح فـــي واد الكنانـــة صـــائحٌ يبيـــت لـــه الربـــع النشـــاميُّ داويـــا
وإن أنَّ فـــي الصـــقع اليمـــاني مثقـــلٌ أهـــاب لـــه القطـــر الحجـــازي باكيـــا

يبث لنا الشاعر عن لواعج نفسه وأمنياته التي يحب أن يراها من وحدة وتماسك بين أبناء الأمة العربية والإسلامية، فيُريدها كالجسد الواحد في تماسك مشاعرها وأحاسيسها وفكرها وثقافتها، وهذا ما أكده بقوله:" إن سكوت الأمة العربية عن مخاطر الصهيونية قد دفع الشبيبة الفلسطينية إلى تنظيم حزب مناهض للصهيونية، وأهاب الفاروقي بالأمة العربية أن تطالب الحكومة العثمانية باتخاذ الإجراءات التالية للوقوف في وجه هذه المخاطر"[33:57]، لقد برع الشاعر في حياكة الصورة الشعرية التي ساق في ثناياها الكثير من الدلالات التي شكلت قيم دلالية بارزة، ومثلت علامات فارقة في تاريخ الأمة، وتحريرها من التبعية والهوان؛ مما يشكّل تكويناً فكرياً وثقافياً يحمي الأمة من الانزلاق في مهاوي التردي والتخلف.

الحادي عشر: ذم الخونة والأفعال المتخاذلة مع البريطانيين والصهاينة.

ذمّ الخطاب الشعري الزعامات العربية وأفعالها المتخاذلة مع بلفور وقوى الظلم الاستعماري، التي باعت فلسطين للصهاينة وقتلت أهلها بدم بارد، والعرب ينظرون ويلهثون حول الأماني والأحلام على موائد الغزاة وهيئاتهم ولجانهم، فلا مرية أن التكوين "الفكري لن يستقر في ظل الأمية الفكرية العقائدية، وأن الخروج من هذه الأزمة يستلزم جهداً مشتركاً لإعادة بناء الفكر، ومحو الأمية العقائدية وتصحيح المفاهيم الملتبسة"[34: 21]، التي يُعاني منها كثير من يدعون علمهم بالسياسة وفنونها؛ فيقول الشاعر محمد العدناني في قصيدته "غادروا هيئة الأمم"[5:121]:

يـــــا رعاديـــــد يـــــا غـــــنم	غـــــادروا هيئـــــة الأمـــــم
أيهـــــا الســـــادة الأُلـــــى	ضـــــيعوا القـــــدس والحـــــرم
كلكـــــم فـــــوق عرشـــــه	يجلـــــس الآن كالصـــــنم
قـــــد قتلـــــتم شـــــعوبكم	ثـــــم نحـــــتم علـــــى الـــــرمم
ثـــــم قلـــــتم تراجعـــــوا	فقضـــــي العـــــزم وانحطـــــم

افتتح الشاعر قصدته بأسلوب النداء المشفوع بالآلام والسخرية من العرب الذي حطوا رحلهم في ركاب المجالس والهيئات الصورية التي أُعدت خصيصاً لسلب مقدرات الشعوب ونهب خيراتها وتشريع الظلم وتوطيد الاحتلال والاستعمار والغزو بطريقة مباشرة وغير مباشرة، بدليل أن الضعيف من تُنفذ عليه القرارات والمؤامرات والحلول الجاهزة، ينادي بسخرية بأسلوب تبجيل على سبيل التهكم، بتضييعهم للقدس وحرمه الذي داسه الاحتلال، وشبه تمسكهم بكرسي الحكم وحبهم له بأصنام خاوية لا يتحركون ولا يترنحون عن مجالسهم ومقاعدهم، فيعملون جاهدين على "تضليل العقول كأداة للقهر ، فهو يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة"[35:5]، ويؤكد الشاعر أن الحكام أفسدوا العامة بتحطيمهم الآمال ومضايقتهم للأحرار، وعبثهم بمقدرات الآخرين وتفريطهم ومساومتهم ومفاوضاتهم وبيعهم للقضية والوطن، فقال عبد الكريم الكرمي[21: 116]:

قـــــل للـــــذين يتـــــاجرون بـــــدمعنا	لا تحســـــبوا درب الـــــدموع معبـــــدا

قـــــالوا الجـــــراح كثيـــــرة فـــــأجبتهم جـــرح الأحبـــة دونـــه طعـــن المُـــدى

كيـــف الســـبيل إلـــى شـــفاء جراحنـــا والشـــارب الـــدم عنـــدنا مـــن ضـــمد

يحذر شاعرنا من التجارة بمقدرات الناس وقضاياهم، ويبث مشاعر الأمل بروح التحدي والإصرار على درب الثورة والانتفاضة، ويتساءل عن الطريق الصحيح لشفاء الغليل وبراء الجرح الذي أنتجه وعد بلفور وأعوانه المتخاذلين، مؤكداً على طريق الجهاد والمقاومة لمقارعة المحتل ومن والاه –وللأسف من أبناء جلدتنا– لبث ثقافة المقاومة ونشر أفكارها السديدة التي تطمح إلى كنس المحتل وطرده عن كامل تراب الوطن العزيز، وهذا من البواعث القيمية التي يُبنى عليها التكوين الفكري والثقافي، في ترسيخ مبدأ الإحساس بالمسئولية تجاه أمن الوطن والحفاظ على مقدراته ومكتسباته[268:36].

واستخدم الشاعر إبراهيم طوقان أسلوب السخرية في انتقاد الزعماء العرب المتخاذلين، الذين لم يحركوا ساكناً من أجل قضية فلسطين؛ فقال [219:23]:

أنـــــــتم المخلصـــــــون للوطنيـــــــة أنـــتم الحـــاملون عـــبء القضـــية!!

أنـــتم العـــاملون مـــن غيـــر قـــول!! بـــارك الله فـــي الزنـــود القويـــة!!

(وبيـــان) مـــنكم يعـــادل جيشـــاً بمعـــدات زحفـــه الحربيـــة..

(واجتمـــاع) مـــنكم يـــرد علينـــا غـــابر المجـــد مـــن فتـــوح أميـــة..

وخـــلاص الـــبلاد صـــار علـــى البـــاب وجـــاءت أعيـــاده الورديـــة..

مـــا جحـــدنا (أفضـــالكم) غيـــر أنـــا لـــم تـــزل فـــي نفوســـنا أمنيـــة

فـــي يـــدينا بقيـــة مـــن بـــلاد.. فاســـتريحوا كـــي لا تطيـــر البقيـــة

توضح الأبيات السابقة حقيقة الزعماء العرب الذين يجعجعون في نواديهم واجتماعاتهم، فنسمع جعجعةً ولا نرى طحيناً، وتضمنت أيضاً اتهاماً صريحاً بأنهم السبب في ضياع الأرض والقضية، وهاجمهم الشاعر هجوماً عنيفاً حيث لا يرى فيهم من الصدق ما يؤهلهم لأن ينالوا شرف الجهاد والاستشهاد؛ حيثُ يقول[219:23]:

ولـــو أصـــيب بجـــرح بعضـــكم خطـــأ فيهـــا إذا لـــرتعتم بالحفـــاوات

بـــل حكمـــة الله كانـــت فـــي ســـلامتكم لأنكـــم غيـــر أهـــل للشـــهادات

وينتقد الشاعر كمال ناصر الزعماء الذين لم يكترثوا بما أصاب شعبه من تشريد وتشتت في أقطار الدنيا، ويستنهض الهمم، ولكنه يصاب بصدمة تذهل الإنسان لما يراه من فساد ونميمة بين أبناء الأمة؛ فيقول في قصيدته "إلى أقطار الجامعة العربية"[219:23]:

يا عصبة الخير التي انتحرت على ثغر الجهاد

قوموا انظروا الشعب الفقير مشرداً في كل واد

قوموا انظروا مثخن الأحلام مكلوم الفؤاد

أين العروبة "ركبها الجبار" ما بين العباد

فتشت عنها في كل شبر في الوهاد وفي النجاد

فوجدتها كتلاً تدب على النميمة والفساد

وتحوك للشعب الكئيب بلذة ثوب الحداد

بيّن الشاعر أن الجامعة العربية هي بمثابة انتحار عن الجهاد والمقاومة، صنعها الغرب من أجل تضليل القيادات والزعامات وجعلهم قطعة من فكره وثقافته؛ ليتسنى له توجيههم نحو أهدافه ولصد ردود فعل الشعوب العربية وجماهيرها، ويتساءل عن المجد التليد للأمة، وترك الجواب واستوقف الشاعر متفحصاً ومفتشاً عن صورة مشعة للجامعة العربية في الوقت الحاضر فلم يجد سوى كتل بشرية تموج بالرذيلة وتدب بالنميمة وتعيش على الفساد، إنها الصورة المؤلمة التي رسمها الشاعر المبدع لحال الأمة وواقعها، وأكد أن هذه العصبة الشريرة – صاحبة الهوى والسلطان– تحوك فنون العذاب لأبناء الأمة النوابغ والجهابذة الأحرار، وجاء الخطاب الشعري مشحوناً بروح الرفض والثورة في وجه الظلم والعدوان وأعوانه، مبيناً المنهج الثوري الصحيح الذي لا يشط عن الجادة " لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية تكون سبباً في انحراف السلوك والأفكار والخلاق عن جادة لصواب أو سبباً للإيقاع في المهالك"[12:23]، فحرض الجمهور على الثورة والجهاد، فجاءت ألفاظه حماسية ثورية، ذات دلالات موحية ومعبرة عن المبادئ والقيم التي ينادي بها الثوار الأحرار من أمثال: (القسام) الذي جاهد ضد اليهود واستطاع أن يبث معاني المقاومة والجهاد بين أبناء المجتمع الفلسطيني والعربي، وقال عبد الرحيم محمود في قصيدته "الجامعة العربية"[43:27]:

قـــــــل لا واتبعهـــــــا ولا تخـــــــف وانظـــر هنالـــك كيـــف تحنـــى الهـــام

اصـــهر بنـــارك غـــلّ عنقـــك ينصـــهر فعلـــى الجمـــاجم تركـــز الأعـــلام

وأقـــم علـــى الأشـــلاء صـــرحك إنمـــا مـــن فوقـــه تُبنـــى العـــلا وتُقـــام

واغصـــب حقوقـــك قـــط لا تســـتجدها إن الأُلـــى ســـلبوا الحقـــوق لئـــام

هـــذي طريقـــك للحيـــاة فـــلا تحـــد قـــد ســـارها مـــن قبلـــك القســـام

إن الناظر إلى المعاني التي ساقها الشاعر في أبياته السابقة يجدها تتصل اتصالاً وثيقاً بالفكر السليم والنهج العتيد الذي عبَّده الأحرار بدمائهم وأشلائهم وأرواحهم، تبرز تلك المعاني المجسدة في فِعال المجاهدين

الأطهار الذي جادوا بأغلى ما يملكون من أجل إحقاق الحق ورد الكرامة بطريق العزة والفخار، حتى أسلوب الشاعر ثوري بامتياز، فأفعال الأمر(قل، اتبعها، انظر، اصهر، غلّ، أقم، اغصب)، والحرف(لا)، وتكراره في تراكيب بعينها مثل:(لا تخف، لا تستجدها، لا تحد)، تدلل على التوكيد على طريق الحرية والعزة والكرامة التي تنكب سبيلها الأحرار الأماجد ، ويعمد إلى الشاعر "استخدام التكرار لتقوية ناحية الإنشاء أي ناحية العواطف كالتعجب والحنين والاستغراب والتوكيد"[45/2:37]، فالتكرار يحتوي على إمكانيات تعبيرية يستطيع الشاعر من خلالها أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، وذلك لا يتم إلَّا إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه، وإلا فإنه سيتحول إلى تكرار مبتذل لا فائدة منه[38: 185]، [39: 230]، [40: 35]، فشاعرنا استطاع أن يطوع ألفاظه وتراكيبه ومعانيه وأسلوبه إلى تجسيد رؤية ثورية التي لا تستسلم لوعود ومؤامرات واتفاقيات ومعاهدات العدو وأعوانه المتربصين بأمة العرب والمسلمين، ووجهه الخطاب الشعري الأفراد لمواجهة ظلم اليهود الذين جلبهم وعد بلفور، ومواصلة مسيرة الثورة والانتفاضة من خلال ديمومة الفكر الثوري والفعل المقاوم، فقال أبو الإقبال اليعقوبي:

أيـــن الســـكاكيني ومـــا مـــن مســـعف ... يحاكيـــــه أماجـــــد الإســـــعاف

ضـــــربت فلســـــطين فلـــــم تســـــمع ... صـــوتاً وكـــان لهـــا الخليـــل الـــوافي

واستغرب اليعقوبي من صنيع إسعاف النشاشيبي، عندما رآه في سكوت وخنوع، فقال[21: 59]:

إســـعاف مالـــك لا تحـــرك ســـاكناً ... وبنـــو العروبـــة فـــي يـــد الأرزاء

المعتـــدون بغـــوا علـــى أوطـــانهم ... والبغـــي لـــو تدريـــه فـــي الأعـــداء

ويحاول إيقاظ مشاعر وعاتب اليعقوبي شاعر النيل، في قوله[21: 60]:

شـــاعر النيـــل المفـــدى لـــم يقـــل ... فـــي فلســـطين ولا بيـــت قصـــيد

وصـــروف الـــدهر لـــم تبقـــي فتـــى ... مـــن بنيهـــا وبنوهـــا العـــرب صـــيد

لا تقـــف موقـــف شـــوقي مـــنهم ... وخليـــل إنـــه غيـــر حميـــد

إن مـــن لـــم يـــرث للعـــرب الأُلـــى ... كرمـــوه لـــيس بـــالمرء الســـديد

وجسد الشعراء في خطابهم، الوسائل والأدوات التي وجب بها مواجهة وعد بلفور ومقارعة المحتل وأعوانه، فقال العبوشي في قصيدته "وعد بلفور"[10: 193]:

يُحـــار أولـــو الألبـــاب فـــي أمـــة علـــت ... إلـــى ســـدة الـــرحمن بـــالعزم والمجـــد

تمـــوت ونخشـــى الغاصـــبين تراثهـــا ... ونســـكن للغـــازي ونخنـــع للعبـــد

وحســبك عيبـــاً يـــا ابـــن يعـــرب أن تـــرى ... (لبلفـــور) يومـــاً يســـتجدّ مـــع الوعـــد

تميـــل إلـــى لطـــم الخـــدود وليتمـــا تلاطم وجـــه الخصـــم بالصـــارم الهنـــدي
وبالقنبـــل الـــذري هـــلا اخترعتـــه ألســـت تحـــس النـــار تُشـــعل عـــن بعـــد

جاء توجيه الشعراء اللَّوم والنقد للإنسان العربي، من باب استنهاض الهمم من أجل بث ثقافة الجهاد والمقاومة، ومحاربة الفكر الانهزامي المنحط الذي يعشق الذل والخنوع، وهذا يعمل على حيوية البعد الفكري والثقافي للإنسان الفلسطيني والعربي، من خلال السير على النهج السليم الذي به تحرر العباد والبلاد.

وخاطب الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدته (وعد بلفور) البريطاني الغادر، مؤكداً على طريق الثورة في استرداد الحقوق لأهلها، فقال[54:27]:

يـــا ذا الحليـــف ســـيوفنا ورماحنـــا لـــم تنـــثلم–فـــاعلم– ولـــم تتكســـر
بـــالأمس أبلـــت فـــي عـــداك وفـــي غـــد فـــي كـــل قلـــب غـــادر متحجـــر
تغلـــي الصـــدور ولـــيس فـــي غليانهـــا إلا نـــذير العاصـــف المتفجـــر
ولقـــد تصـــبرنا عليـــك فلـــم نطـــق منـــك المزيـــد ولات حـــين تصـــبر
هـــذي الـــبلاد عرينـــا وفـــدى لهـــا مـــن نســـل يعـــرب كـــل أســـد هصـــور

ركز الشاعر في الأبيات السابقة على بث روح التحدي والثورة لنهج بلفور ومن سار على دربه، وأنذر الاحتلال من لهيب الثورة القادم الذي سيمحق الأعداء ويزلزل أركانهم، وبرزت معاني التضحية والفداء في بيان النهج السليم الذي سار عليه أحرار شعوب العالم، إن طرح مفاهيم ومبادئ وعادات ثورية مستمدة من قيم الشعب الفلسطيني، تعمل على توجيه الجهود وتكثيفها من أجل تحقيق التعبئة الفكرية والثقافية لأبناء المجتمع الفلسطيني في زمن تبدلتْ فيه الأحوال وتغيّرتْ.

تعددتْ المشارب الفكرية والثقافية لدى الشعراء، وتنوعت اتجاهاتهم الفنية والشعرية، ولكن استدلالاتهم لوعد بلفور كانت تجسد رؤية كلية عامة مبنية على رفض الوعد؛ لأنه بمثابة إعلان صريح لاحتلال فلسطين، والكشف عن الظلم الذي يكتنفه هذا الوعد في ثناياه وأبعاده على أرض الواقع، والتأكيد على النهج الثوري وعلى طريق الجهاد والمقاومة التي لا يتأتى النصر والتمكين إلَّا بها، وتجسيد حالة الخذلان وفساد القيادات والزعامات العربية التي تواطأت مع المحتل وساومت على الأرض وفرطت بالقضية الفلسطينية، ولم تهب لنصرتها، ولم نسمع سوى العبارات الرنانة والخطب الحماسية التي تشبه الرعد، فـ"ليس للطغيان صورة واحدة... فمتى استغلت السلطة لإرهاق الشعب وإفقاره تحولت إلى طغيان أيا كانت صورته..!"[75:41]، فصدح الشعراء بصوت الحق الصادق، ورسموا طريق الحرية على نهج الثوار البواسل والشهداء الأبرار، واستعانوا بالتجارب الجهادية لأمة العرب والمسلمين من شخصيات ومجريات وأحداث ووقائع وغزوات، كل ذلك شكل قواعد أساسية متعلقة بصورة أو بأخرى بالبعد الفكري والثقافي وعمقه في ذاكرة الإنسان الفلسطيني ووجدانه.

المبحث الثاني: المرجعيات النصيّة لوعد بلفور في سياق الشعر الفلسطيني وانعكاساتها الفكرية والثقافية.

ارتكز استحضار وعد بلفور في سياق الشعر الفلسطيني على مرجعيات نصيّة لها دورها البارز في تكوين الاستدلالات وإيصال رسائل نصوص الخطاب وتبليغ مقاصدها لجمهور المتلقين، وساهم ذلك في توليد الاستدلالات والتفاعل معها عبر السياق الذي لا معنى للكلمات الشعرية خارج مكانها في النَّظم اللغوي وأطروحاته [55:42]، فالنص يمثل من شبكات علائقية لا يمكن فهم أية كلمة فيه على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها[43: 83]، فيتحدث البحث في هذا المضمار عن وعد بلفور وتمثلاته داخل المنتج النصي ونسقياته الخطابية، يمكن بيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: استعمال التعبير المجازي عند الحديث عن وعد بلفور.

وظّف الشعراء تقنية المجاز في التعبير الشعري من خلال تصوراتهم حول وعد بلفور في الأدب الفلسطيني، ويوحي ذلك بتيار الرفض والتمرد ضد وعد بلفور؛ لأنه يمثل انزياحاً دلالياً في الاستخدام غير الحقيقي للفظ؛ فيقول الشاعر محمد صيام في قصيدته بعنوان " وعد بلفور المشئوم"[15:1/1/161]:

(بلفـــور) للظلـــم والطغيـــان عنـــوان والإنجليـــز طغـــاةٌ أينمـــا كـــانوا

وكلمـــا ذُكِـــرت إنجلتـــرا لُعِنـــت فقلـــب ســـكانها بالحقـــد مـــلآن

وجيشـــها جـــيش إجـــرام وعربـــدة وشـــعبها مفســـد فـــي الأرض فتـــان

لـــم يتركـــوا قريـــةً إلا وأغرقهـــا ممـــا افتـــر مـــن الإفســـاد طوفـــان

فهـــا هنـــا فـــتن بالشـــر بـــارزة وهـــا هنـــاك خلافـــات وعصـــيان

وفـــي المجـــاز هـــم أقـــوى ممارســـة ولـــيس يشـــبههم إنـــس ولا جـــآن

أشار الشاعر إلى أسلوب وعد بلفور، في استخدامه لتقنية المجاز في معانيه ومضامينه، أي كأن هذا الوعد " استعمال اللفظ في غير ما وضع له"[44:136]، وهذا يدل على مدى مصداقية الشاعر في كشفه عن النوايا الفاسدة التي تموج بها السلوك الماكر والمخادع الذي مارسه الإنجليز بحق العرب والمسلمين، ووصمه العار الذي وضعتْ في تاريخ الإجرام الإنجليزي والصهيوني، وتوضيح طبيعة أفعالهم التي لم يشبههم فيها لا إنس ولا جان، فيفتح المجاز أمام الشعراء أبواباً واسعة في بناء نصوصه وابتكار أوجه جديدة من الاستعمال السياقي لكل كلمة في بنية نصوص الخطاب المقدَّم[45:214]، فاستخدام المجاز في التصوير الشعري لوعد بلفور من المشكِّلات الرئيسة في التكوين الاستدلالي وتداولياته ضمن سياق الخطاب الشعري المنجز، الذي يفترض سلفاً وجود تعاون بين المبدع والمتلقي تُراعى فيه "خصوصية الشعر الذي لا يمكن أن يكون يوماً ما موضوعاً لفهم وإفهام تامين ونهائيين، إنه على الأصح سيبقى دائماً موضوعاً لإثارة خيال القراء وتفاعلاتهم"[46:17]، إن الشاعر وإن كان ينطلق من سياق مرجعي ثم يقوم بتحوير معالمه داخل النص الشعري فيبني عالماً متخيلاً لا يفهم إلا في تلك

الحدود، فإن للقارئ أوضاعاً متعددة، إذ قد يكون طرفاً مؤسساً للمشهد السياقي الإنتاجي، وقد يكون وجوده تالٍ للفعل الإبداعي فتتحدد وظيفته تبعاً للمقصدية التي تحرك فعل القراءة/الاستماع، إذ قد يراعي السياق التخييلي "فالمادة التخييلية في النص لا تكون هي المقصودة بالذات وما هو مقصود هو أبعادها الدلالية التي تبقى رهينة الصور الخيالية التي تولدها أولاً في ذهن مبدعها وبعد ذلك في أذهان القراء، وليس من الضروري أن يحدث تطابق بين جميع الصور"[16:46].

ثانياً: استعمال التكرار.

يمثل التكرار مفتاحاً دلالياً له تأثيراته واستدلالاته النفسية العميقة في الذات المبدعة، فاستند إليه الشعراء في بناء نصوصهم حول وعد بلفور، وذلك عند وصف القيادة السياسية في وعد بلفور، وبين مدى الخيانة ونكث العهود والوعود التي اقتطعتها بريطانيا على نفسها مع أمة العرب، وما كان نتاج ذلك إلَّا الغدر بهم وإيفاء الوعود لليهود، فيبرز السياق المعنى الدلالي المناسب[47: 292]، وذلك حول طبيعة واقعة وعد بلفور؛ فيقول الشاعر مصباح العابودي[5:137]:

ولكـــــــم حفلنـــــــا بـــــــالوعو (م) د. وكـــــــم شـــــــقينا بـــــــالوعود

الكـــــــل قـــــــد قطـــــــع العهـــــــو (م) د. وكلهـــــــم نكـــــــث العهـــــــود

ســـــــيّان فـــــــي هـــــــذا الأمـــــــــــ (م) ـــــــير صـــــــاحب العـــــــرش الوطيـــــــد

الكـــــــل يزهـــــــو بالخمـــــــــــا (م) ئـــــــل والعمـــــــائم والبـــــــرود

إن التكرار في بنية الكلام الشعري تنكشف معانيه من خلال تسييق الوحدة اللغوية[48:68]؛ ليدل على ما في نفس الشاعر من شعور بألم الخيانة، مؤكداً أن البريطانيين أهل الغدر والمكر والدهاء في التعامل مع الآخرين، ويكشف ذلك على دقة رؤية الشاعر للقادة الذين تبنوا وعد بلفور، ويشكِّل برؤيته داعماً حقيقياً للتكوين الفكري والثقافي لدى الفلسطينيين، فجسد التكرار في دلالاته مرجعاً نصيّاً عبّر من خلاله أهل الإبداع عن وعد بلفور ، ويعمد الشعراء إلى استخدام التكرار في ظل نطاق التأسيس أو التقرير، لكنه تحرك بينهما صانعاً لنفسه أشكالاً جديدة ودلالات غزيرة، ساعده في ذلك طبيعة القالب الموسيقي للشعر واتّساع رؤيته وقدرته مع هذا التكتيك، فالشاعر المعاصر "يعمد عمداً إرادياً إلى انتخاب حروف تتكرر بعينها في كل بيت، يحدث تكرارها أصواتاً وإيقاعات موسيقية معينة، ويعمد كذلك إلى تكرار كلمات بعينها يتخيرها تخيراً موسيقياً خاصاً لتؤدي بجانب دورها في بناء الصورة الشعرية إلى توفير إيقاع موسيقي خاص"[49: 132] لا يمكن تحديد دلالاته بعيداً عن السياق الكلي للخطاب المطروح حول وعد بلفور واستدلالاته، ومن هذا المنطق لا يمكن النظر للنص من مستوى لغوي واحد؛ لأنه يستحيل أن تستخرج الدلات من مستوى بعينه[50:95].

ثالثاً: التناص.

ارتكز الخطاب الشعري في قضية وعد بلفور على التناص باعتباره تشعبات دلالية ترتبط بمرجعيات لها حضورها في الفكر والثقافة، ويمثل التناص فضاءً نصيّاً متعدد الأبعاد، ويمكن لعناصره أن تتطابق مع النص

الشعري المتعين؛ مما يغني البنية اللغوية للنص، ويسهم في حيوتها، وينسجم ذلك مع طبيعة السياق المطروح حول وعد بلفور، وما يمثل ذلك من ارتباطات دلالية لا تُفهم إلا في ضوء مجموعة من الاعتبارات والظروف والملابسات التي تصاحب النشاط اللغوي[12:51]، فبرزتْ في الدعوة إلى الصبر والصمود ورباطة الجأش في مواجهة العدو الغاصب، فقال أبو الإقبال اليعقوبي[46:21]:

صـــــــبراً بنـــــــي وطنـــــــي فمـــــــا بعـــــد الهبـــــوط ســـــوى الصـــــعود

بـــــــالله مـــــــا الأمـــــــر الـــــــذي نرجـــــــوه بـــــــالأمر البعيـــــــد

فـــــــالخير أقـــــــرب للصـــــــبور الحـــــــر مـــــــن حبـــــــل الوريـــــــد

دعا الشاعر إلى الصبر على الفاجعة والثبات على الموقف، والسير على نهج الصابرين الصالحين، الذي حصدوا الخير بصبرهم وأولئك الأحرار الذين يرون الخير أمام ناظر أعينهم ويسر في دمائهم؛ لأنه من شيمهم وطباعهم، ويمثل توظيف التناص "تقنية اختيار الرمز أو التجربة السابقة أو إسقاط ملامحها على التجربة المعاصرة"[52:25–26]، فأجرى الشاعر لذلك تناصاً دينياً مع قوله تعالى:﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(ق: 16)، وهذا يجسد قيم إنسانية خالدة، تسهم في بناء البعد الفكري والثقافي للأجيال.

وتجسد الشخصيات مرجعاً نصيّا في تكويناتها واستدلالاتها حول وعد بلفور، وما تمثله الشخصيات في الذاكرة التاريخية والوجدان الشعبي من مكانة مرموقة لها تأثيراتها في تكوين الاتجاهات وتشكيل الانطباعات واستدلالاتها عند أركان العملية التواصلية من مبدع ونص ومتلقي، فاستحضر الشعراء في خطابهم حول وعد بلفور، الشخصيات الجهادية، فالشاعر محمد صيام استحضر شخصية صلاح الدين حاملاً تاريخاً عريقاً وبطولات جساماً في قصيدته بعنوان "وعد بلفور"[82/2:53]:

يا مسلمون إلى الجهاد بقوة يا مسلمون

فالمسجد الأقصى المبارك يستغيث، أتسمعون؟

والناس كل الناس في أوطاننا يتصايحون

قم يا صلاح الدين إن بني العروبة نائمون

قم فالصليبيون عادوا كالأفاعي ينهشون

فاخلع نيوبهم التي بسمومها يتحركون

يحث صيام المسلمين على الجهاد؛ لأنه عاش المآسي والنكبات التي حلت بالوطن، وآمن بحتمية الحل الإسلامي لقضايا الأمة[68/2:53]، فجاءت قصائده نارية تثير العواطف، وتقوي العزائم وتشحن القلوب، حاملة خطاباً حياً يمزج الحاضر بالماضي، صراخ أهل القدس اليوم وأنين المسجد الأقصى، بروح صلاح الدين الذي قهر الصليبيين وزلزل أركانهم، فجاءوا أذلة صاغرين يطلبون العفو والصفح[553/2:19]، ويكرر فعل الأمر

"قم"؛ لأن الأمة بحاجة إليه، بحاجة إلى البطل المغوار الذي يوحد الجيوش ويرص الصفوف، ويَؤمّ الناس بالعدل والمساواة، فتنطلق التكبيرة من قلب المسلمين مدوية، تسمع شرق البلاد وغربها، ويباركها الله(ﷻ) ويحفظها، حينها يأتي النصر والتمكين، وهذا شكل نسقاً تجسيداً لحالة إبداع جهادية في تاريخ الأمة المشرق؛ ليهتدي أبنائنا بالعبقريات الإسلامية التي أنجزت في مسيرة الفكر والثقافة، وعززت مقومات القوة في شخصيتنا القومية، التي بدورها تؤدي إلى تحقيق التكوين الفكري والثقافي، وتسهم في بناء الشخصية الحضارية للأجيال القادمة.

إن توظيف الشخصيات التراثية له دلالته السياقية والنصيّة[54: 20]، فيمنح الخطاب المنجز بعداً عاماً تتجاوز عصرها ويحقق لها قدرة التواصل الحي مع العصر الراهن، لتبرز بسماتها المميزة كما كانت في عصرها[55: 80]، فمدح الشعراء السلاطين الأتراك الذين لم يفرطوا بفلسطين؛ فقال أبو الإقبال اليعقوبي في مدح السلطان عبد الحميد الثاني[5: 48]:

عصر عبد المجيد مالك ملوك الأرض ... وافي بصيت الرحمات

عصر علم تجلى به يراعٌ ... خط للناس هذه الحسنات

استحضر الشاعر شخصية عبد الحميد الثاني، تلك الشخصية التي لها دلالاتها وأبعادها على صعيد التاريخ الإسلامي، تلك الشخصية التي جسدت القيم الثقافية والفكرية للعقل والشخصية الإسلامية المبدعة، التي لم تنساق وراء زخرف الدنيا ومتاعها، تلك هي الزعامة الحقيقية التي لا تحيد عن المبادئ ولا تفرط بالثوابت وتصون شرف الأمة وتحمي عرضها من دنس الطغاة المستعمرين، فهذه المعاني تسند دعائم التكوين "الفكري لحماية المجتمعات من الوقوع في الفوضى الفكرية غير منضبطة بزمام من الحكمة والعلم"[56: 19].

واستحضر الشعراء العديد من أسماء الأماكن والشخصيات الصهيونية والمسيحية واليهودية التي تسببت في مأساة فلسطين ونكبتها؛ مثل: بازل وهرتزل وبلفور، وفي مقابلهم استحضروا أسماء بعض الرموز الإسلامية العظيمة؛ مثل سيدنا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، والسلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض التنازل عن أرض فلسطين، فبرزت استدلالات وعد بلفور في بنية نصيّة بمعانٍ جديدة تتمثل في استعمال الكلمات ضمن ملابسات لغوية وغير لغوية[57: 251]، تتمثل في البعد الثقافي والفكري وتفاعلاته مع مضامين الخطاب حول وعد بلفور؛ فيقول الشاعر عبد الرحمن بارود[58: 211]:

من بازل قذفوا في القدس قنبلة ... ولا يزال حريق القدس مستعرا

عبد الحميد ومهما قال شانئه ... ما خان يوماً فلسطينا ولا غدرا

لاقى هرتزل سلطاناً يموت ... ولا يبيع أنملة منها ولا ظفرا

لم يرعه أذنا .. بل هي يطرده ... طرداً ويلقمه في يلدزٍ حجرا

وخط بلفور صكاً كان مِقصلة ... فقط رأس فلسطين وما شعرا

من يسمع القدس؟ من يصغي لصيحتها؟ ... يا ويلتنا! وا أبا بكراه! وا عمرا

مـــــا للحـــــدود حوالينـــــا مغلقـــــة لـــم تســـتطيع معهـــا ورداً ولا صـــدرا

وظّف الشاعر الشخصيات بطريقة واعية تتناسب وتجربة هذه الأعلام لتبوح رموزها بما لا يستطيع البوح به أحياناً، ولتكثيف الدلالة وتعميقها أحياناً أخرى[58: 211]، فاسم "بازل" ارتبط في أذهاننا بالمؤتمرات الصهيونية التي عقدت في تلك المدينة السويسرية، كما ارتبط اسم "ثيودور هرتزل" بإنشاء الدولة الصهيونية، وكذلك مساومة السلطان عبد الحميد الثاني لبيع فلسطين والتنازل عنها[59:45-54]، ولكن السلطان عبد الحميد – رحمه الله– رفض بإصرار وعزيمة أن يُباع شبر من أراضي فلسطين، وأعقب ذلك إعلان وعد بلفور سنة (1917م) الصادر من وزير الخارجية البريطاني والذي يقضي بمنح فلسطين وطناً قوميًّا لليهود[60: 171]، فشخصية بلفور المخادعة جسدت تعاليم فكرية وثقافية لاهوتية هدفها سحق الوجود الإسلامي، حيث نشرت ابنة أخيه وسكرتيرته الخاصة بعد وفاته أنه لم يكن يعمل لصالح اليهود، ولكنه كان يؤمن بالنصوص التي تقول: "إن عودة المسيح الثانية إلى الأرض لا تأتي إلَّا في دولة يهودية"[61:25]، وهذا يجسد تحدي للتكوين الفكري والثقافي الفلسطيني مدعوم بعواطف دينية مؤججة، فيبرز السياق كوسيلة فاعلة في ظهور دلالته الكلمات ورسائلها التي لا تعرف إلا بمعرفة وظائف غيرها من الكلمات[12:195]، وذلك في النص المنتج حول وعد بلفور، التي تتعلق بشحذ الهمم من أجل مواجهة الطواغيت الأشرار، ونشر سماحة الدين الإسلامي وثقافيته الوسطية التي لا تمحق الآخر وتقصيه، فتنمية القيم الدينية والأخلاقية، تختلف باختلاف معتقدات الفرد بالطبع[62: 113]، فوجب على الإنسان الفلسطيني الحرص على التحلي بالأفكار والسلوكيات النابعة من أصول الثقافة العربية والإسلامية، التي عملت الشخصيات الجهادية على تطبيقها وتنفيذها، وهذا يعمل على تحقيق الذات وتقدير حاجات النفس بما يحقق صحة نفسية وتنمية للموارد الأيديولوجية والثقافية والحضارية والاجتماعية والروحية[63:276]، ويعمل ذلك على بناء قاعد صلبة ونواة حقيقة لتوفير التعبئة الفكرية والثقافية لأبناء الأمة وأجيالها المتعاقبة.

رابعاً: المفارقة التصويرية.

استخدم الشعراء في خطابهم الشعري أسلوب المفارقة التصويرية، التي تمثل مرجعاً نصياً في تشكيل الصورة وتوصيل رسالة النص عبر المتضادات والمتناقضات، وتجسد "المفارقة ظاهرة أساسية في الطبيعة الإنسانية بل في الطبيعة غير الإنسانية وتكاد تكون سلسلة المتقابلات هي أبرز السلاسل التي تنظم الحياة"[64: 68]، فظهرت الموازنة بين الجلاد والضحية، بمفارقات بارزة وعلامات فارقة، تعكس طبيعة الفكر وحجم الوعي الثقافي الذي يكتنزه الإنسان الفلسطيني صاحب الهوية ذات الامتدادات الأصيلة النابعة من صميم حضارة الأمة العربية والإسلامية؛ فقال يحيى برزق في قصيدته "يا وعد بلفور"[65/1:155]:

وأنـــت يـــا وعـــد بلفـــور ومـــا برحـــت ظـــلال غـــدرك فـــي ســـفح وأغـــوار

يـــا وعـــد بلفـــور يـــا وعـــداً تقولـــه.. لـــص .. وضـــيع لمـــأجور وسمســـار!!

ســـتون عامـــاً مضـــت والليـــل يغمرنـــا.. لا نجم فيـــه ســـوى صـــبر .. وإصـــرار

وصـــيحة لشـــهيد فـــي الظـــلام هـــوى ولـــم يـــزل دمـــه يـــدعو إلـــى الثـــار

يـــا وعـــد بلفـــور لكنـــا وإن عبثـــت بنـــا العـــداة وألـــوى كـــل جبـــار
ورغـــم صـــبرا وشـــاتيلا ومـــا فعلـــت يـــد التتـــار بـــأحرار وأبكـــار
لابـــد أن يشـــرق الفجـــر النـــدي علـــى ربوعنـــا بـــين أزهـــار وأشـــجار
والنصـــر يهتـــف فـــي آفاقنـــا طربـــا الله أكبـــر لا أعـــداء فـــي الـــدار
يـــا حبـــذا صـــيحة الإســـلام يرســـلها مهـــاجرون التقـــوا زحفـــاً بأنصـــار

فأجرى الشاعر موازنة بين وعد بلفور الذي وصفه بـــألفاظ(الغدر، وتقوله، ولص، وضيع)، تحمل هذه الكلمات تأثيرات نفسية لها استدلالاتها الوجدانية والفكرية والثقافية؛ نظراً لما تثيره من أحاسيس وتلفت إليه من آفاق[85:66]، وفي هذا دلالة على الهوية الأساس لمعطي وعد بلفور المشئوم، وبيّن الضحية وهم من عامة الشعب الفلسطيني المقهور، ومزج الشاعر بين روح الأمل والتفاؤل بالنصر، مع بيان المنهج الثوري الصحيح الذي سلكه الأحرار على مر السنين والأزمان، إن هذه الدلالات التي استعرضها الشاعر تسهم في تدعيم مقومات التكوين الفكري والثقافي لأبناء الشعب الفلسطيني، وتسهم في تنوير عقولهم حول الحاضر المعيش والمستقبل المنتظر لقضية فلسطين وما يتعلق بها من ملحقات تاريخية كوعد بلفور وغيره، فالمفارقة في جوهرها يكون فيها "تباين واختلاف وتناقض بقدر ما يكون فيه من ائتلاف وانسجام"[145:67]، وبيّن الشاعر الحاج عيسى الصفدي المكر والدهاء الذي اشتهر به المحتل وأعوانه المتخاذلين، الذين حطوا رحالهم في ركبه من أجل متاع الدنيا الزائل؛ فيقول[100:5]:

قـــــل لمـــــن فـــــي لنـــــدن أواهـــــم القصـــــر المشـــــيد
أبهـــــذا حكـــــم العـــــد (م) ل وهـــــل ترضـــــى اليهـــــود
أم لـــــديكم بعـــــد قتـــــل الـــــنفس بـــــالجور مزيـــــد
بينمـــــا العـــــرب تمنـــــيهم مـــــن الغـــــرب الوعـــــود
فـــــإذا الوعـــــد وعيـــــد وإذا الثعلـــــب ســـــيد
وإذا هـــــذا ســـــجين وإذا ذاك شـــــهيد

يخاطب الشاعر الحكام أصحاب الكراسي الذين التجؤوا إلى القصر المشيد المنيف، يحيكون المؤامرات ويعدون الدسائس لأمة العرب والمسلمين، ويستنكر الشاعر ما قام به الإنجليز متسائلاً هل ذلك سيرضي اليهود الغزاة؟، تاركاً الجواب للمتلقي ليتفاعل مع النص ورسائله التي تدور حول وعد بلفور، وكشف عن حال العرب في تعليقهم الأماني على وعود الغرب وأطروحاتهم الكاذبة، فأكد بترديده للوعد والوعيد ببقاء وعد بلفور على حاله على الرُّغم من تلويح الإنجليز بإلغائه، وشبه الإنجليز بالثعالب في فعالهم وصفاتهم حيث المكر والخبث والدهاء،

وبيّن حال الشعب المقاوم الذي يرفض وعد بلفور فإما أن يكون سجيناً أو شهيداً، فهذه المعاني وتجلياتها عززت القيم الفكرية والثقافية في شخصية الإنسان الفلسطيني، التي أنتجت منه إنساناً حراً أبياً لا يقبل الظلم، ويُؤمن بروح التسامح والتعايش على الحق والعدالة والإنصاف.

وصوّر الشاعر عدنان النحوي الزعامات، وحذّر من المؤامرات والوعود، ونبه على ضرورة عدم الانسياق وراء الوعود الكاذبة وسراب الرُّؤى التي تطرحها دول الاستعمار من أجل وضع الحلول للأزمات التي هي افتعلتها؛ فقال[2:1/293-294]:

لا تخـــــدعنَّ! فكـــــل يـــــوم قصـــــة شـــــركٌ ينصـــــب أو هـــــوان يقهـــــر
عجبـــــاً! أتخـــــدع كـــــل حـــــين بـــــالمنى كـــــذبت عليـــــك وبـــــالوعود تغيـــــر
وتظـــــل تلهـــــث خلـــــف أوهـــــام الـــــرُؤى لا ترعـــــــوى أبـــــداً ولا تتـــــــذكر
كـــــم مجـــــرمٍ نفـــــث الوعـــــود مُخـــــاتِلاً حتـــــى إذا أقضـــــوا إليـــــك تنكـــــروا
يعطـــــون فـــــي وضـــــح النهـــــار وعـــــودهم وتلقهـــــم حجـــــب الظـــــلام ليمكـــــروا
يـــــا وعـــــد"بلفور" يمـــــد ضـــــلاله مـــــلء العصـــــور بمـــــا يكيـــــد ويغـــــدر
مـــــا زال ينفـــــث فـــــي الحيـــــاة ســـــمومه ويعيـــــد مـــــن خـــــدع لـــــه ويتصـــــور

استخدم الشاعر أسلوب المفارقات التصويرية التي تعبر في فحواها عن " تكتيك فني يستخدمه الشاعر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوه من التناقض، وهي تختلف عن الطباق والمطابقة سواء من ناحية بنائه الفني أو من ناحية وظيفته الإيحائية؛ لأنها تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها، هذا التناقض الذي قد يمتد ليشمل القصيدة برمتها، فتقوم كلها على مفارقة تصويرية كبيرة"[68:147]، فصوّر الشاعر في الأبيات مفارقة جميلة وجهها الأول هو الصهاينة وزعاماتهم، ووجهها الثاني زعامات إسلامية لم تفرط بشبر من أرض فلسطين، وهذا شكَّل أرضية صلدة لتنمية التكوين الفكري والثقافي، فالطرح التصويري يبرز أهمية النص الأدبي حول وعد بلفور وما يوحي إليه فيما يستخدمه من فنيات جمالية، ترتفع باللغة عن مستواها المألوف؛ لتعطيها قيمة جديدة[69: 120]، تتمحور حول البناء الفكري والثقافي وتطلعاته على المستوى البعيد والقريب؛ لأن استدلالات وعد بلفور في بنية النص لا يمكن فهمها إلا عبر المقام الذي تجري فيه اللغة نشاطاً؛ حيثُ يتطلب ذلك الإحاطة بالظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والفكرية والدينية والسياسية والعراف والتقاليد زالأذواق التي أحاطت به والحيز الزماني والمكاني الذي يتم من خلاله الحديث عن وعد بلفور، وما يكتنف كل ذلك من لحظات إبداعية في أصلها حيز سياقي حالي أساساً[70:285]، يمثل حقيقة الحدث الأدبي لوعد بلفور ومجرياته.

خامساً: السخرية.

استعمل الشعراء في استدلالات وعد بلفور أسلوب السخرية، الذي مثَّل مرجعاً نصيّاً يوحي بتيار العبث الذي من خلاله يتم تشكيل الأفكار والموضوعات حول وعد بلفور، فتجسد السخرية " فن قائم بذاته في الهجاء وهو

يحتاج إلى مواهب متعددة ومقدرة فائقة في اختيار الموضوع وصياغته، وطريقة تقديمه وأسلوب المعالجة، ومعرفة بأذواق المتلقين وأقدار المهجوين"[71: 282]، فركز الشعراء على التحدي والصمود في وجه المؤامرات، وكشف زيف الوعود والعهود التي قطعتها دول الاستعمار على نفسها، فسجل إبراهيم طوقان الواقع السياسي مبنياً النوايا الماكرة للإنجليز بأسلوب ساخر، فبيّن ذلك في قصيدته "أيها الأقوياء"[213:23]:

قـــد شـــهدنا لعهـــدكم (بالعدالـــة) .. وختمنـــا لجنـــدكم بالبســـاله!.

وعرفنـــا لكـــم صـــديقاً وفيّـــاً كيـــف ننســـى انتدابـــه واحتلالـــه..

وخجلنـــا مـــن (لطفكـــم) يـــوم قلـــتم: وعـــدُ بلفـــور نافـــذٌ لا محالـــه

كـــلٌ (أفضـــالكم) علـــى الـــرأس والعـــين وليســـت فـــي حاجـــة لدلالـــه!.

ولـــئن ســـاء حالنـــا فكفانـــا أنكـــم عنـــدنا بأحســـن حالـــه..

غيـــر أن الطريـــق طالـــت علينـــا وعلـــيكم ... فمـــا لنـــا والإطالـــه؟!

أجـــلاءٌ عـــن الـــبلاد تريـــدون فنجلـــو أم محقنـــا والإزالـــه؟

استخدم الشاعر أسلوب السخرية والتهكم من وعد بلفور والقائمين عليه، فهو نوع من التأليف الأدب أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس انتقاء الرذائل والحماقات والنقائض الإنسانية فردية كانت أم جماعية، وكأنها عملية رصد أو مراقبة لها، وتكون في أساليب خاصة منها التهكم أو الهزل أو الإضحاك، كل ذلك في سبيل التخلص من خصال وخصائص سلبية"[72: 51]؛ فيستعرض الشاعر الصفات الظاهرة للإنجليز في حين آخر تحدث عن منهج القتل والإبادة والمكر والدهاء الذي اتبعته الإنجليز بحق القضية الفلسطينية، واستخدم الاستفهام التعجبي متسائلاً عن طريق الخلاص وطول الفترة لتنفيذ الوعود التي اقتطعها الإنجليز على أنفسهم للعرب، فما كان منهم إلا الغدر والخيانة، وإبرام الوعود للدخلاء والغرباء وسحق أصحاب الحق وأهل الأرض، ويواصل تساؤلاته هل ستجلون عن البلاد أم عاقدين العزم على محق الشعب الفلسطيني وإزالته، يلاحظ أن التفكير الواعي والثقافة المقاومة الرافضة لنهج الاحتلال عملت على تنمية فكر الإنسان الفلسطيني وزيادة وعيه، وتعزيز سلوكيات الرفض للدخيل الغازي الذي يريد سلب مقدرات الشعب الفلسطيني، وهذا أسهم في بناء منظومة التعبئة الفكرية والثقافية بين أفراد المجتمع الفلسطيني المقاوم لجبروت المحتل وصلفه.

نتائج البحث وتوصياته

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

أولاً- النتائج.

- تقوم استدلالات وعد بلفور وأبعاده الفكرية والثقافية على تيار الرفض والتمرد في سياق نصوص الشعر الفلسطيني؛ بغية كشف المخاطر التاريخية والقومية للوعد أمام أبناء الأمة والشعب.

- ترتبط الاستدلالات الموضوعية ومحاورها في وعد بلفور بالاستنهاض التثويري والتنوير الفكري والثقافي ضمن سياقات ومقامات الشعر الفلسطيني التي لها إفرازاتها على مستوى البنية والدلالة.
- استجلتِ الاستدلالات معالم الصراع الحقيقية وكشفتْ مقومات المواجهة التي يمتلكها أبناء الشعب الفلسطيني أمام وعد بلفور وآثاره على القضية المركزية للأمة ضمن سياق نصّي تفاعلي له رسائله ومقاصده الفكرية والثقافية.
- برزت قيمة الكلمة واستدلالاتها في تصورات وعد بلفور وتمثلاته السياقية بالشعر الفلسطيني؛ مما يوحي بمكانة الكلمة في إدارة الصراع وتكوين البعد الفكري والثقافي عند مقاومة قوى الاستعمار ومجابهتها.
- اشتملتْ نصوص سياق الخطاب الشعري حول وعد بلفور وأبعاده الثقافية بمرجعيات نصيّة لها أنساقها وبنيتها الأسلوبية، والتي تتجلى في توظيف التصوير المجازي وتمثلاته، والتكرار، والتناص واستلهام الشخصيات التراثية، وأسلوب المفارقة التصويرية، وأسلوب السخرية والتهكم، ويرتبط ذلك بمنطق الرؤية والتجربة للحدث الأدبي وآلية التعبير، والمتمثل في وعد بلفور، ويشير إلى عمق الطرح الفكري والوجداني في الشعر الفلسطيني.
- تداخل مستويات التعبير اللغوي والتشكّيل الشعري من الناحية الفنية ومعماراتها وكثافتها في استعراض الاستدلالات والمحاور الموضوعية حول وعد بلفور وأبعاده الفكرية والثقافية عند المبدعين الفلسطينيين.

ثانياً- التوصيات.

1- ضرورة استجلاء معالم المنحى الفكري والثقافي لطبيعة الأحداث التاريخية وتكويناتها في الأجناس الأدبية عند مبدعي فلسطين.

2- بيان المضامين الموضوعية والمشكّلات الفنية ومعماراتها في سياقات الإنتاج الشعري الفلسطيني، واستعراضها في ضوء علم النص وتحليل الخطاب.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

فهرس المصادر والمراجع

[1] عياشي، منذر، اللسانيات والدلالة- الكلمة، الطبعة الأولى، حلب، مركز الإنماء الحضاري، (1996م).

[2] الكحلوت، يوسف، مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة، الجزء الأول، الطبعة الثانية، غزة، المركز الدولي للنشر، (2004م).

[3] الأنصاري، محمد، تحولات الفكر والسياسية في الشرق العربي 1930-1970، الطبعة الأولى، الكويت، عالم المعرفة،(1980م).

[4] سيرفوني، جان، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، الطبعة الأولى، دمشق، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، (1998م).

[5] السوافيري، كامل، الأدب العربي المعاصر في فلسطين(1860-1960)، القاهرة، دار المعارف، (1975م).

[6] الموسى، نهاد، النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (1980م).
[7] فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الطبعة الأولى، الكويت، منشورات عالم المعرفة، (1992م).
[8] عبد الحق، صلاح، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، الطبعة الأولى، بيروت، دار التنوير، (1993م).
[9] الحصري، إبراهيم، زهر الآداب وثمر الألباب، بيروت، دار الجيل، (د.ت).
[10] العبوشي، سماك وحسن، فارس السيف والقلم الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر المجاهد الراحل برهان الدين العبوشي(1911–1995م)، الطبعة الأولى، دمشق، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، (2009م).
[11] الأغا، يحيى، إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر، الطبعة الأولى، خانيونس، دار الحكمة،(1998م).
[12] خليل، حلمي، الكلمة(دراسة لغوية معجمية)، الطبعة الأولى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،(1998م).
[13] خليل، حلمي، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية، (1997م).
[14] البخاري، محمد، الصحيح، الطبعة الأولى، القاهرة، دار طوق النجاة،(1422ه).
[15] صيام، محمد(2007م): ذكريات فلسطينية،ج1، صنعاء.
[16] الشامي، رشاد، إشكالية اليهودية في إسرائيل، الكويت، منشورات عالم المعرفة، (1997م).
[17] وايتلام، كيث، اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة: سحر الهنيدي، وفؤاد زكريا، الكويت، عالم المعرفة، (1990م).
[18] جيابزي، ماري، قراءة خاصة تصريح وعد بلفور: أصول النزاع العربي– الإسرائيلي، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع95، صيف، (2013م).
[19] شراب، محمد، موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، الطبعة الأولى، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، (2003م).
[20] صيام، محمد، خماسيات المقاومة، الطبعة الأولى، صنعاء، (د.م)، (2009م).
[21] قسم اللغة العربية، الأدب الفلسطيني تاريخه وأغراضه واتجاهاته، الطبعة الأولى، خانيونس، مكتبة القادسية، (2010م).
[23] طوقان، إبراهيم، ديوانه، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (1993م).
[24] أبو عبيد، القاسم،الأمثال، تحقيق:عبد المجيد قطامش،الطبعة الأولى، دمشق، دار المأمون للتراث،(1980م).
[25] قدور، أحمد، مبادئ اللسانيات، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر،(1996م).
[26] مؤنس، حسين، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، الكويت، عالم المعرفة، (1978م).
[27] محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة عبد الرحيم محمود الديوان والمقالات النقدية، جمع وتحقيق: عز الدين المناصرة، الطبعة الأولى، عمان، دار جرير، (2009م).
[28] شكري، محمد، الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، الكويت، عالم المعرفة، (1978م).

[29] الصالح، سعدي، المسؤولية التربوية للأسرة في تحقيق الأمن الفكري، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، (1429ه).
[30] خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الأولى، بيروت، المركز الثقافي العربي، (1991م).
[31] زوين، علي، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، الطبعة الأولى، بغداد، دار الشؤون الثقافية، (1986م).
[32] السمان، محمد، خطبة الجمعة أهميتها وأثرها في تعزيز الأمن الفكري، الرياض، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري،(1430ه).
[33] دمج، ناصر، تحولات منهجية في مسار الصراع العربي الإسرائيلي، الطبعة الثانية، القاهرة، منشورات مركز الدراسات الاستراتيجية، (2007م).
[34] الهماش، متعب، استراتيجية تعزيز الأمن الفكري، الرياض، المؤتمر الوطني للأمن الفكري، (1430ه).
[35] شيللر، هربرت، المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، الكويت، عالم المعرفة، (1999م).
[36] كلوب، عرابي،الأمن الشامل(المفهوم–المقومات–التنمية– المجالات)،غزة، مكتبة ومطبعة دار الأرقم، (2011م).
[37] الطيب، عبد الله، المرشد لفهم أشعار العرب، الطبعة الثانية، الخرطوم، الدار السودانية،(1970م).
[38] الكبيسي، عمران، لغة الشعر العراقي، الكويت، وكالة المطبوعات، (د.ت).
[39] الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة النهضة،(1967م).
[40] عاشور، فهد، التكرار في شعر محمود درويش، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، (2004م).
[41] إمام، أمام، الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، الطبعة الأولى، الكويت، منشورات عالم المعرفة، (1994م).
[42] أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، مكتبة الشباب، (1975م).
[43] لاينز، جون،اللغة والمعنى والسياق، ترجمة:عباس عبد الوهاب، الطبعة الأولى، بغداد، دار الشؤون الثقافية، (1987م).
[44] عتيق، عبد العزيز، علم البيان، بيروت، دار النهضة العربية،(1982م).
[45] طليمات، غازي، في علم اللغة، الطبعة الثانية، سوريا، دار طلاس،(2000م).
[46] لحميداني، حميد، نظرية قراءة الأدب وتأويله من المقصدية إلى المحصلة المغرب، مجلة علامات،ع26، (2006م).
[47] حسان، تمام، الأصول، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (2000م).
[48] عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، الطبعة الأولى، الكويت، مكتبة دار العروبة, (1982م).
[49] عبد الرحمن، إبراهيم، قضايا الشعر في النقد الأدبي، الطبعة الأولى، بيروت، دار العودة، (1981م).

[50] بحيري، سعيد،علم لغة النص– المفاهيم والاتجاهات، الطبعة الأولى، القاهرة، الشركة المصرية العالمية، (1997م).
[51] طبيل، حسن، علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، الطبعة الأولى، المنصورة، مكتبة الإيمان، (2004م).
[52] رحاحله، أحمد، توظيف الموروث الجاهلي في الشعر العربي المعاصر، عمان، دار البيروني،(2008م).
[53] الجدع وجرار، أحمد وحسني، شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، (1978م).
[54] الداية، فايز، علم الدلالة العربي– النظرية والتطبيق، الجزائر، ديوان المطبوعات، (1988م).
[55] الحداد، علي، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، الطبعة الأولى، بغداد، دار الشؤون الثقافية، (1986م).
[56] الحربي، سلطان، دور الحوار في تعزيز الأمن الفكري، السعودية، وزارة التربية والتعليم، (1432ه).
[57] حسام الدين، كريم، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر، (2002م).
[58] محسن، ناهض، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، الطبعة الأولى، غزة، مكتبة اليازجي، (2008م).
[59] جبارة، تيسير، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، الطبعة الأولى، شعفاط، مطبعة الرائد الحديثة، (1985م).
[60] العمري، نادية، أضواء على الثقافة الإسلامية، الطبعة التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، (2001م).
[61] الشريف، كامل، حقوق الإنسان والقضايا الكبرى، الندوة العالمية لحقوق الإنسان في الإسلام المنعقدة في روما بإيطاليا ، السعودية، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، (2000م).
[62] صادق وأبو حطب، آمال وفؤاد، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت).
[63] نجاتي، محمد، الحديث النبوي وعلم النفس، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق، (2002م).
[64] عبد المطلب، محمد، ظواهر تعبيرية في شعر الحداثة، القاهرة، مجلة فصول، مج 8،ع/403، ديسمبر، (1989م).
[65] برزق، يحيى محمد، الأعمال الشعرية الكاملة "الكناري اللاجئ"، جمع وإعداد: مخلص يحيى برزق، الطبعة الاولى، دمشق، مؤسسة بيت فلسطين للشعر، (2012م).
[66] نهر، هادي، علم اللغة الاجتماعي، الطبعة الأولى، العراق، منشورات الجامعة المستنصرية،(1988م).
[67] فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، (1998م).
[68] زايد، علي، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة الشباب،(1995م).
[69] عيسى، محمود، السياق الأدبي دراسة نقدية تطبيقية، الطبعة الأولى، مصر، منشورات جامعة المنصورة، (2004م).
[70] نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، الطبعة الأولى، الأردن، دار الأمل، (2008م).
[71] بيومي، عباس، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (1985م).
[72] عبد الحميد، شاكر، رؤية جديدة : الفكاهة والضحك، الكويت، منشورات عالم المعرفة، (2003م).